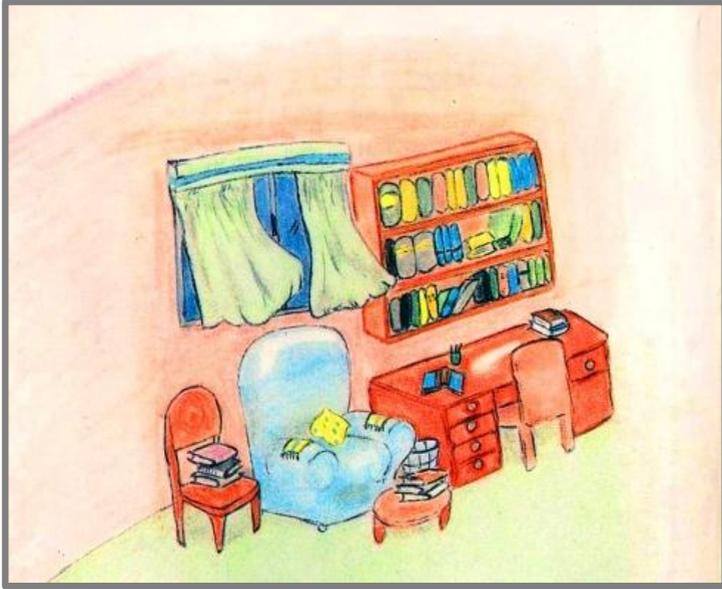


إنسان في حيز الوجود



دلال خليفة

المسرحيات التي يحتويها هذا الكتاب للقراءة فقط وهي غير مرتبطة
ببلد معين أو زمن معين ولا تتقيد كثيراً بالواقع ومنطقيته وإن كان
في منطقية الواقع ما يصدمننا بشكل أعنف مما تفعل أحداث بعضها.

المؤلفة

هذا الجزء يحتوى على
المسرحية الأولى فقط في
المجموعة والمعنونة: إنسان
في حيز الوجود

إنسان في حيّز الوجود

أو:

آخر الأمسيات

الشخصيات:

رجل في أواخر الأربعينات، أو بداية الخمسينات نحيف، ورثّ الهيئة.	الفيلسوف
امرأة أربعينية، حسنة المظهر، متوسطة الجمال، وتميل إلى البدانة.	زوجة الفيلسوف
خادمة في العشرين من عمرها.	وردة
رجل في الخمسينات.	البستاني
	حمالان

الأمسية الأولى

المشهد الأول

المكان: غرفة جلوس بها أريكة على اليمين يقابلها على الشمال كرسي كبير، عن شماله مكتب عليه آلة كاتبة وكتب وأوراق - وبينه وبين الكرسي سلّة مهملات صغيرة - وعن يمينه مقعد خشبي، وأمامه (الكرسي) منضدة صغيرة عليها بضعة كتب وخلفه مباشرة نافذة متوسطة الحجم ستارها نصف مسدول. وخلف كل ذلك - في أقصى الغرفة - منضدة طعام حولها ستة مقاعد. وللغرفة باب على الشمال (خلف المكتب) يؤدي إلى حديقة المنزل والخارج، وآخر في الحائط الأوسط (خلف منضدة الطعام) يؤدي إلى الداخل، وثالث على اليمين يؤدي إلى المطبخ.

يدخل الفيلسوف وبيده كيس صغير وخلفه حمالان يحملان صناديق ضخمة ويضعانها على الأرض في منتصف الغرفة.
يضع الفيلسوف الكيس الصغير فوق الصناديق الضخمة وعندما يرفع رأسه يرى الحمالين.

الفيلسوف من أنتما؟
الحمال الأول نحن الحمالان يا سيدي.
الفيلسوف الحمالان؟ ماذا تفعلان هنا؟

ينظر الحمالان أحدهما إلى الآخر في دهشة ثم يلتفتان إليه.

الحمال الثاني لقد جننا معك، أنت أحضرتنا إلى هنا.

- الفيلسوف (بدهشة) من أين أحضرتكما؟
الحمال الثاني أحضرتنا من السوق.
- الفيلسوف (مبتسماً وهو يهز رأسه نفيًا) لا أظن أنني اشتريت
حمالين.
- الحمال الأول (مستاءً) لم تشترينا ولكن استأجرتنا لنحمل لك هذه
الصناديق.
- الفيلسوف (ينظر إلى الصناديق) صحيح، صحيح.
أعذراني فذاكرتي ضعيفة جداً.
- الحمال الثاني لا عليك.
- الفيلسوف (متريداً) وماذا تريدان؟
- الحمال الأول نريد نقودنا.
- الفيلسوف هل أخذت منكما نقوداً؟
- الحمال الأول لا ولكننا حملنا لك هذه الصناديق ونريد ثمن ذلك.
- الفيلسوف أعذراني فذاكرتي ضعيفة.
- الحمال الثاني ومع ذلك نريد نقودنا.
- الفيلسوف حسناً. (يدخل يده في جيبه ويخرج ورقة مطوية
ويقدمها للحمال الأول) تفضل.
- الحمال الأول (ينظر في الورقة ثم يناولها الفيلسوف غاضباً) لا نريد
هذه، خذها.
- الفيلسوف لماذا؟ (يأخذ الورقة وينظر إليها) أنا آسف لقد ظننت
أنها ورقة مالية، نسيت أنني قصصت هذا الإعلان
ووضعت هذه القصاصة في جيبتي كي لا يفوتني

معرض الكتب المعلن عنه، أشكركما لأنكما
ذكرتماني به قبل أن يفوتني.

الحمال الأول معرض الكتب الكبير؟ ولكنه فاتك بالفعل لقد انتهى
في الأسبوع الماضي.

الفيلسوف (يشهق) فاتني؟ (ينظر إلى الورقة مرة أخرى) نعم،
لقد فاتني، (يتنهد بحسرة) كل الأشياء الجميلة في
الحياة تفوتني، (يلتفت للحمالين) هل تعرفان لماذا؟

الحمال الثاني (متردداً) لا..

الفيلسوف لأن الزمن أسرع مني بكثير.. الزمن يسحقنا لأنه
أقوى من الإنسان وأقوى من كل شيء، (يخطو إلى
الأمام) الزمن..

الحمال الثاني (مقاطعاً) دع عنك الزمن الآن وأعطنا نقودنا، نريد
أن نذهب.

الفيلسوف معظم الناس يكرهون التأمل والفكر ويهربون عندما
يسمعون شيئاً من التفكير.

الحمال الأول نحن لا نريد الهروب من التـ... مما ذكرت ولكن
لدينا أعمال كثيرة ولا نريد أن نضيع الوقت.

الفيلسوف أنتما لا تريدان إضاعة الوقت، هل تعلمان لماذا؟
لأنكما مثل كل الناس تخافان من الزمن.. كل الناس
يخافون منه لأنه يسحقهم، يلهبهم بسياطه.

الحمال الثاني (بغضب) اسمع أيها الرجل، أعطنا نقودنا ودعنا نذهب.

الفيلسوف (ينظر إليهما مستغرباً) أية نقود؟ آه.. النقود! تذكرت الآن. أعذراني..

الحمال الثاني نعلم... ذاكرتك ضعيفة ولكننا نريد نقودنا... الآن!
الحمال الأول وإذا لم نأخذها الآن فسنحمل هذه الصناديق إلى السوق ثانية.

الفيلسوف أتركها هذه الصناديق. سأدفع لكما النقود الآن. (يدخل يده في جيبه ويخرج ورقة مطوية ويقدمها للحمال الثاني) تفضل.

ينظر الحمال الثاني في الورقة.

الحمال الثاني (غاضباً) ألا تكف عن هذه الألاعيب؟

الفيلسوف (ببراءة) أية الألاعيب؟

الحمال الثاني (رافعاً الورقة أمام عين الفيلسوف) هل هذه نقود؟

الفيلسوف (يعدل نظارته ويتأمل الورقة) لا، هذه وصفا كتبها لي طبيب منذ شهر ونسيت أن أحضر الدواء.

الحمال الثاني (وهو ما يزال غاضباً) خذ إذن وصفتك.

الفيلسوف لقد شفيت الآن، ومع ذلك فالدواء الحقيقي ليس في تلك الزجاجات وإنما في قوة الإرادة والزمن، وما الأدوية إلا عوامل مساعدة.. (يهز رأسه رفضاً وهو

ينظر إلى الوصفة الطبية في يد الحمال) لا أحتاج إلى هذه الوصفة، لا أريدها.

الحمال الثاني (صارخاً بغضب) وأنا أيضاً لا أريدها.

الفيلسوف (مستاءً) ماذا تريد إذا؟

الحمال الثاني (بصوت محبط) ماذا أريد؟

الفيلسوف نعم، ماذا تريد؟

الحمال الثاني (منهاراً) لا أريد شيئاً (يلتفت إلى زميله) هل تريد شيئاً؟

الحمال الأول (منهاراً أيضاً) لا، لا.. لا أريد شيئاً.

الحمال الثاني هيا نذهب إذاً.

يتجه الحمالان إلى الباب ويخرجان ويتبعهما الفيلسوف ويقف عند الباب وهو ينظر إليهما.

الفيلسوف لا تريدان شيئاً؟ لماذا أتيتما إذا؟

تدخل زوجة الفيلسوف من الباب المؤدي إلى الداخل. تفاجأ برؤية الصناديق الكبيرة وتقف بدهشة أمامها، يقترب منها زوجها.

الزوجة ما هذه الأشياء؟

الفيلسوف هذه الأشياء؟ (يتأمل الصناديق) إن لهذه الأشياء قصة

يا زوجتي العزيزة.

الزوجة (بتهمك) أسمعني إياها يا زوجي العزيز.

- الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
- تعلمين أنني لم أشتري فاكهة منذ مدة طويلة.
مع أننا نسكن قريباً من السوق!
إنني أنسى دائماً.
وأعلم ذلك أيضاً.
اليوم كنت أتمشى بالصدفة بالقرب من السوق...
وأنت تعلمين أنني عندما أتمشى وأنا أفكر لا أرى شيئاً..
أعلم ذلك، فكثيراً ما أحضرك الناس إلى هنا يحملونك
وقد عادوا بك من قسم الطوارئ بعد أن كانوا
أخرجوك من حفرٍ أو مستنقعات...
(مقاطعاً بهدوء) لا تكلمي فأنا لا أحب استرجاع
الخبرات غير السارة.
حسناً وما الذي جعلك ترى السوق؟
كان الحر شديداً وأخذ العرق يسيل على وجهي
وضايقتني بشكل قطع عليّ تفكيري وتأملاتي
فأخرجت منديلي من جيبي لأجفف عرقي، ولكن قبل
أن أصل به إلى وجهي طار مني المنديل فاتبعته،
وعندما سقط على الأرض انحنيت لأخذه فرأيت
سائلاً جالساً على الأرض ماداً يده فعرفت أنني في
السوق، فرفعت رأسي فإذا بي أمام دكان فاكهاني
فتذكرت أننا بحاجة إلى فاكهة منذ أشهر.

- الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
- (بدهشة) واشتريت ملء هذه الصناديق من الفاكهة؟؟!
لا.. انتظري بقية الحكاية.
(تتنهد بملل) هاتها.
- فدخلت إلى الدكان وأخذت أنظر في حيرة إلى
الفواكه المكدسة أمامي فسألني البائع عما بي فأخبرته
أني لا أعرف ماذا أشتري فاقترح عليّ أن أشتري
برتقالاً فقلت له إنني أكره البرتقال فاقترح شراء تفاح
فقلت له "زوجتي تكره التفاح"، وظل يقترح ويقترح
وكلما اقترح شيئاً وجدت أن أحداً يكرهه..
- الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
- غريب جداً! كيف تتذكر ما نحب وما نكره من
الفواكه وتنسى ما يمر على حدوثة خمس دقائق؟
لأن ذاكرتي لم تضعف إلا في السنوات الأخيرة.
صحيح. عندما تزاممت المعلومات في عقلك أخذت
تتناثر هنا وهناك فتختفي من ذهنك! أكمل.
- الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
- ماذا أكمل؟ أعني ماذا كنت أقول؟
ماذا حدث بعد أن وجدت أن الفواكه التي اقترح
الفكهاني شراءها غير مناسبة لنا؟
الفاكهاني.. نعم! عندما رأى أن الفواكه التي كان
يقترحها تلقى نفوراً إما عندي أو عندك غضب وقال:
"ألا توجد فاكهة تحبانها أنتما الإثنين؟" (يرنو إلى

الأمام ببصره مفكراً) لا تستطيعين تخيل ما أثاره ذلك السؤال في نفسي من تفكر وتأمل..

الزوجة سؤال غاضب من فاكهاني جاهل يثير في نفسك من التفكير والتأمل ما هو فوق التخيل!

الفيلسوف نعم، فقد مكنتني هذا السؤال من وضع يدي على أحد أسرار الخلاف المتواصل بيننا وهو أننا لا نشترك في حب شيء فما أكرهه تحببته وما أحبه تكرهينه فقررت أن أحسن العلاقة بيننا بشراء شيء نحبه نحن الإثنين، ولم يكن ذلك سهلاً.

الزوجة أعلم جيداً!

الفيلسوف (مغمضاً عينيه) فأخذت أفكر وأفكر وأنا أتأمل المعنى الكبير الذي انطوت عليه كلمة الفاكهاني وسبحت في بحرٍ من الأفكار بل وهمت في عالم بعيد عن عالمنا.

الزوجة فعلت ذلك وأنت في دكان الفاكهاني؟ وأين وصلت؟

الفيلسوف (يفتح عينيه فجأة) لا أعلم أين كنت سأصل لأن تسلسل أفكاري انقطع فجأة عندما حدث زلزالٌ عنيف.

الزوجة (بدهشة) زلزال؟! في السوق؟؟

الفيلسوف هذا ما ظننت ولكن عندما فتحت عيني وجدت الفاكهاني يهزني بعنف وهو يقول "استيقظ.. كيف

تنام واقفاً؟" (بيتسم) لقد ظن المسكين أنني نمت –
وسألني ماذا أريد أن أشتري وفي تلك اللحظة
جاءتني ومضة فكرية فتذكرت شيئاً واحداً كلانا
نحبه.

(باستغرابٍ شديد) ما هو؟

الزوجة

السفرجل!

الفيلسوف

(بعدم اهتمام) صحيح، أذكر أنني كنت أحبه.

الزوجة

وأنا أيضاً كنت أحبه وأخبرت البائع بذلك ولكن لم
يكن عنده شيء منه فحاول إغرائني بشراء فاكهة غير
السفرجل ولكن هيهات فقد استقرت الفكرة في ذهني
ولم يخرجها شيء.

الفيلسوف

(بلا اكتراث) فماذا فعلت؟

الزوجة

خرجت من ذلك الدكان ومررت بكل محال الفاكهة
في ذلك المكان فلم أجد للسفرجل أثراً. ولكني لم
أياس ومنعت نفسي من التفكير في ما سوى السفرجل
بكل ما أوتيت من قوة كي لا أنسى، لأحقق تلك الغاية
وهي إصلاح العلاقة بيننا؛ تخيلي شعورنا ونحن
نأكل شيئاً لا يكرهه أحدنا.

الفيلسوف

(بنفاد صبر) تخيلت، ثم ماذا حدث؟

الزوجة

أخذت أنتقل من شارعٍ إلى شارع، ومن منطقة إلى
أخرى، فدخلت ما يربو على عشر من محلات البقالة

الفيلسوف

وتصميمي في العثور عليه يتزايد، حتى وجدت
مطلبي في المحل الأخير (يتنفس بارتياح وسعادة)
فاشترت كل ما كان في المحل من السفرجل.

الزوجة (تشهق بدهشة وهي تنظر إلى الصناديق) واشترت
كل هذه الكمية من السفرجل؟

الفيلسوف لا طبعاً. لم أجد عنده إلا سفرجلتين، وهما في ذلك
الكيس الصغير.

الزوجة (صارخة وقد نفذ صبرها) إذن ما الذي يوجد في هذه
الصناديق؟

الفيلسوف دعيني أتذكر.. أعتقد أن بها.. ثلاثة صغيرة، و..
مكنسة كهربائية، و.. تليفزيون؟ نعم، تليفزيون
متنقل. رأيت هذه الأجهزة في طريقي خلال رحلة
بحثي عن السفرجل وتذكرت أنك طلبت إليّ شراء
هذه الأشياء منذ مدة.. قصيرة..

الزوجة منذ تسع سنوات!

الفيلسوف منذ تسع سنوات ونسيت أن أحضرها، فاشتريتها
اليوم.

الزوجة (باستغراب) وهل ظننت أنني سأنتظر كل تلك السنين
حتى ترى هذه الأشياء بالصدفة وتشتريها؟ لقد
اشترت كل ما نحتاجه منذ زمن بعيد.

الفيلسوف (بحيرة) إذن ماذا سنفعل بهذه الأشياء؟

الزوجة (وهي تتفحص الصناديق بنظرها) لا عليك، نحن بحاجة إلى أجهزة جديدة.
الفيلسوف (مسروراً) حسناً.

تلتقط الزوجة كيس السفرجل وتنظر داخله باحتقار.

الزوجة هذا كل ما وجدته مع البائع؟
الفيلسوف (بسعادة) نعم.
الزوجة (تتحسسهما من وراء الكيس) ولكنهما طريتان، ربما كانتا فاسدتين.

الفيلسوف قلت لك إنني لم أجد غيرهما ولاحظت أنهما قد تكونان فاسدتين ولكني صممت على شرائهما إيماناً مني بأنهما ستقربان بيننا.

الزوجة لن تقرب بيننا سفرجلتان فاسدتان وإنما ستقرب بيننا هدية ثمينة تهديني إياها. (باستنكار) من قال إن السفرجل الفاسد يقرب بين الناس! (تنظر إليهما ثانية باحتقار).

الفيلسوف ولكن، لو اشتريت لك هدية خاصة فلن نشترك فيها كما سنشترك في أكل هاتين السفرجلتين.

الزوجة لو اشتريت لي شيئاً من المجوهرات لشاركتني النظر إليه ولو اشتريت لي سيارة لشاركتني ركوبها، ومع

ذلك فما الضرر في إسعادي وحدي، ألا يسعدك ذلك
بحد ذاته؟

الفيلسوف طبعاً، ولكن المبدأ الذي ارتكز عليه شراء
السفرجلتين مختلف وأنا لا أحب أن أخلط بين
الأشياء.

الزوجة (تضع الكيس فوق الصناديق وتجلس على الأريكة)
ولكن الأشياء مختلطة بطبيعتها في عقلك يا زوجي
العزيز!

الفيلسوف (وهو يجلس على الكرسي مقابل الأريكة) إن اختلاط
الأشياء في عقلي مثل اختلاطها في العالم الخارجي
المحيط بنا...

الزوجة الأشياء ليست مختلطة في العالم.
الفيلسوف بل إنها أكثر اختلاطاً في العالم منها في عقلي.

الزوجة (بتحدّي) إنها ليست كذلك!
الفيلسوف (بهدهوء) أنظري إلى الكرسي الذي أجلس عليه.

الزوجة أعرف أنه كرسيك المفضل، ما به؟

الفيلسوف من أين جاء خشبه؟ ومن أين جاءت المسامير التي
تصل أجزاءه ببعضها؟ ومن أين جاء الإسفنج الذي
يحشوه والقماش الذي يغلفه؟ وحتى القماش الذي
يغلفه لم يأت من وبر حيوان واحد، والألوان التي
صُبغ بها ركبت من مواد كثيرة، بل وكل لون مرّكب

من جزئيات مختلفة الألوان، كل تلك المواد اجتمعت لتكوّن هذا الكرسي... ثم انظري إلى الناس، هل ترين بلداً واحداً منغلِقاً على أهله؟ وحتى الإنسان الواحد قد يكون دمه من بلد وكيّته من بلد آخر و...

الزوجة
حسناً، حسناً ولكن الأشياء تمتزج في العالم بانسجام أما في عقلك فهي تختلط في فوضى.

الفيلسوف
أنت تشعرين أن الأشياء مختلطة في عقلي لأنك لا تفهميني، وهكذا الناس؛ عندما لا يرقى فكرهم إلى درجة فهم الآخرين وتفسير سلوكهم فإنهم يظنون أن القصور من الآخرين. لذلك، لكي تري أن الأشياء منظمة ومنسقة في عقلي يتعين عليك أن تكوني أنا.

الزوجة
(مستهجنة الفكرة) لا، لا! إغفني أرجوك، لا أريد أن أكون أنت.

الفيلسوف
(شاعراً بالإهانة) لماذا؟

الزوجة
أولاً لأنني لا أحب أن أقع في الحفر والمستنقعات وأعود إلى البيت بجروح وكسور...

الفيلسوف
تلم الوعاء وخذشه لا يؤثر في ما يحتويه.

الزوجة
وثانياً لأنني لا أحب أن تكون الأشياء مختلطة في عقلي.

الفيلسوف
(بهدهوء) عندما تصرين على مخالفتي أعرف أنك تريدني أن أغضب وأثور، ولكن هيهات أن أثور

فما الدنيا عندي إلا رحلة مشرفة على الانتهاء لا تستحق أن يثور أحد بسببها.

الزوجة (وهي تحاول جاهدة كتم غيظها) وأنا أيضاً لن أثور فقد تعلمت الصبر.

الفيلسوف (بصوت منخفض وهو يبتسم في سرور) هذه هي الخطوة الأولى.

الزوجة ماذا تقول؟

الفيلسوف لا.. لا أقول شيئاً.

الزوجة (متشككةً) ولكني سمعتك تقول شيئاً.

الفيلسوف لم يكن شيئاً ذا أهمية.

الزوجة لم أسمعك قط تقول شيئاً له أهمية ومع ذلك فأنا أريد أن أعرف ما قلته الآن.

الفيلسوف إذا كان كلامي عديم الأهمية فلماذا تصرين على معرفته؟

الزوجة أنا فضولية كما تعلم.

الفيلسوف سأخبرك إذا اعترفت أن كل كلامي هام.

الزوجة لن أدعي ذلك ولو قتلني الفضول!

الفيلسوف دعيني وشأني إذاً.

الزوجة لن أسألك عنه ولكن لماذا قلته وأنت لا تريدني أن

أسمعه... ولمن؟

الفيلسوف قلته لنفسي لأعبر عن بعض مكنونات نفسي.

- الزوجة
الفيلسوف
ألا تعرف نفسك مكنوناتها؟
قد لا توجد في هذا العالم نفس تعرف مكنوناتها مثل نفسي ولكني أحتاج إلى الحديث مع نفسي كنوع من التعايش مع الذات، كل الناس يفعلون ذلك.
- الزوجة
الفيلسوف
لا يفعل ذلك إلا المجانين.
ألا تحلمين بأشياء كثيرة وأنت متيقظة وتقولين في سرّك أشياء كثيرة؟
- الزوجة
الفيلسوف
بلى.. أحياناً.
إذن فأنت تتعايشين مع ذاتك.
- الزوجة
الفيلسوف
ولكني أفعل ذلك بصمت مثل بقية العقلاء.
ولكننا أحياناً عندما ننفعل أو نثور أو نفرح نطلق صيحات أو عبارات تعبر عن مشاعرنا، ولا نستريح إلاّ إذا جعلنا هذا التعبير مسموعاً حتى لو كنا وحدنا في المكان.
- الزوجة
الفيلسوف
لا أعتقد أنك "شعرت" بشيءٍ قط ولكن دعنا من هذا الكلام الآن. إقرأ جريدتك ريثما أعد العشاء. (تقف).
جريدتي!... أين جريدتي (يتلفت يميناً وشمالاً بحثاً عن الجريدة ثم يبدو كمن تذكر شيئاً فيظهر عليه الإحباط) لا بد أنني نسيت شراء الجريدة اليوم.
- الزوجة
الفيلسوف
لا تبتئس لذلك، إقرأ جريدة الأمس لأنك حتماً نسيت كل ما فيها من أخبار.

الفيلسوف لم أنس إحضار الجريدة قبل اليوم. لم يحدث ذلك إلا بسبب البحث عن السفرجل.

الزوجة (بلا مبالاة وهي تلتقط الكيس) السفرجلتين الفاسدتين؟
(تنظر داخل الكيس) إحدى السفرجلتين في هذا الكيس كبيرة والأخرى صغيرة، أيهما تريد؟

الفيلسوف إذا قلت إنني أريد الكبيرة فستظنين أنني أريد أن أخص نفسي بالأفضل وإذا قلت إنني أريد الصغيرة فستظنين أنني أريد أن أجعلك تأكلين الكمية الأكبر من الفساد.

الزوجة طبعاً سأفسر الأمر هكذا فأنا أعرف نواياك.

الفيلسوف لذلك سأترك لك الاختيار.

الزوجة طبعاً ستترك لي الاختيار فلا أحب إليك من وضعي في مواقف محيرة.

يتنهد الفيلسوف في ضيق.

الزوجة لا تبتئس، سأختار! والآن سأدخل لإكمال إعداد العشاء (تتجه إلى الداخل وهي تنتظر داخل الكيس باحتقار).

الفيلسوف لماذا تعدين العشاء بنفسك أين.. ما اسمها؟

الزوجة وردة؟ إنها تقضي إجازتها السنوية كما تعلم.. (لنفسها) ولكنك لا تعلم شيئاً! (لزوجها) أعني كما نسيت! (تدخل إلى المطبخ).

يأخذ الزوج أحد الكتب الموضوعة على المكتب ويفتحه ويقرأ.

ستار

* * *

الأمسية الأولى

المشهد الثاني

بعد نصف ساعة.

المكان نفسه.

الزوجان جالسان إلى السفرة وأمامهما صحن فارغة موضوعة فوق بعضها، تقف الزوجة وتهم برفع الصحن الفارغة من على المائدة.

الزوجة والآن سأحضر السفرجلتين.

الفيلسوف لقد أكلت كثيراً ولا أريد أن أكل شيئاً آخر الآن.

الزوجة (بلهجة محتجة) ولكني أريد أن أكل سفرجلتي الآن.

الفيلسوف حسناً، وأنا سأكل سفرجلتي غداً.

الزوجة ولكنك قلت إنك بحثت في عشر محال عن هاتين

السفرجلتين فقط لكي نشترك في أكل شيء نحبه نحن

الإثنان، فكيف تريدنا أن نأكلهما في وقتين مختلفين؟

الفيلسوف (يفكر) أنا قلت ذلك؟

الزوجة (تجلس ثانية وقد بدا عليها الإحباط) نسيت ذلك أيضاً!

الفيلسوف انتظري سأحاول التذكر (يطرق ويفكر).

الزوجة لا تتأمل ثانية وتغادر عالمنا أرجوك، سأذكرك أنا..

هل تذكر الفاكهاني؟ السائل.. السوق.. الزلزال...

الفيلسوف (بهدهوء) نعم، نعم، تذكرت. أحضرت السفرجلتين

لتحسين العلاقة بيننا لأن الفاكهاني سألني عما إذا كان يوجد شيء نحبه نحن الإثنين.

الزوجة لذلك يجب أن نأكل السفرجلتين الآن لإصلاح علاقتنا.

الفيلسوف ولكني شعبان، لماذا لا تؤجلين أكل سفرجلتك إلى الغد؟

الزوجة لأنني أحب أن أكل سفرجلتي الآن ولأنهما فاسدتان تقريباً. لا أظن أن ما بقي من مدة صلاحيتهما يتعدى الخمس دقائق!

الفيلسوف (بضيق) كل ذلك بسبب الفاكهاني!

الزوجة لن يفيدك لوم الفاكهاني لأنه لن يغير موقفي.

الفيلسوف حسناً، إذا كنت مصرّة بهذا الشكل فلا بأس من اتقاء

المشاكل بالتنازل وقمع القوى الراضية في نفسي ليتحقق الهدف الذي اشتريت بسببه هاتين المصيبتين

ولكنني يجب أن أكل الصغيرة في هذه الحالة.

الزوجة (بفزع) لا... لن تأكل الصغيرة!
 الفيلسوف (مستغرباً) لماذا؟
 الزوجة لقد اخترت لك الكبيرة.
 الفيلسوف اختارها لنفسك لأنني لن أستطيع أن أكلها.
 الزوجة (بلهجة امرأة) بل ستأكلها لأنك تركت لي حرية
 الاختيار ولا يحق لك التراجع الآن.
 الفيلسوف ولكن بطني سينفجر إن أكلتها.
 الزوجة (ببرود مقلدة زوجها) وماذا في ذلك؟ تلم الوعاء لا
 يهم إذا كان محتوى الوعاء سليماً.
 الفيلسوف لماذا استمعت إلى فاكهاني جاهل!
 الزوجة سأحضرهما الآن، تذكر أن الكبيرة لك أنت.

تقف الزوجة وترفع الصحون الفارغة وتتجه إلى المطبخ وهي تغني
 بمرح بينما يتجه الفيلسوف إلى الكرسي المقابل للأريكة ويلتقط أحد
 الكتب بغضب ويجلس ويفتحه ويشرع في القراءة.

تدخل الزوجة وهي ما تزال تغني وفي يدها صحن صغير تضعه
 على المنضدة الصغيرة أمام زوجها وتجلس بجانبه على المقعد
 الخشبي.

الزوجة تفضل!

يمد الفيلسوف يده إلى الصحن ويضع الكتاب جانباً وينظر إلى
 السفرجلتين ثم يبعد يده بسرعة.

- الزوجة (مستغربة) ما بك؟
- الفيلسوف (بتقزز) إنهما مقشرتان.
- الزوجة نعم أنا أحب أكل السفرجل هكذا.
- الفيلسوف ولكني لا أحبه هكذا.
- الزوجة كل السفرجلة هكذا هذه المرة.
- الفيلسوف (وهو ينظر إلى الصحن في رعب وتقزز) لا... مستحيل!
- الزوجة (بضيق) يجب أن تأكلها لأنني لا أستطيع إعادة قشرها عليها الآن.
- الفيلسوف (وهو يحدق في السفرجلتين يرعب) لن أكلها!
- الزوجة (بتلطف) ولكنك اشتريتهما لإصلاح علاقتنا فلماذا لا تأكل السفرجلة من أجل هذا الهدف؟
- الفيلسوف (يشيح ببصره عن السفرجلتين) لن أكلها ولو كان ذلك يصلح بين كل الشعوب المتحاربة على وجه الأرض! كليها أنت.
- الزوجة لا! (تنظر إليه نظرة تحدي وتهديد) يجب أن تأكلها أنت.
- الفيلسوف (بتصميم) لا!
- الزوجة ولكنك تنازلت كثيراً وبحثت عن السفرجل في أكثر من عشرة أماكن واشتريت كل تلك الأجهزة بسببه، ثم رضيت أن أختار لك السفرجلة التي ستأكلها

ورضيت أن تأكلها وبطنك يكاد ينفجر من أجل
إصلاح علاقتنا فلماذا لا تتنازل الآن وتأكلها وهي
مقشرة؟

الفيلسوف لن أضطهد نفسي أكثر من ذلك. (يقف ويلقي الكتاب
على الكرسي) انتهت محاولتي بالفشل.. كلي
سفرجلك وحدك.

الزوجة (تقف بغضب) لن أكل شيئاً.

ترفع الزوجة صحن السفرجل وتلقي بمحتوياته في سلة المهملات التي
بين كرسي زوجها والمكتب.

الفيلسوف (وهو ينظر إلى سلة المهملات) هذا مصير محاولتي
لإصلاح علاقتنا.. (يتنهد) كم من النوايا الطيبة تنتهي
إليك أيتها السلة!

الزوجة هل كنت في حالة تعايش مع ذاتك؟

الفيلسوف لا، كنت أخاطب سلة المهملات.

الزوجة (بصوت منخفض) لم أخطيء كثيراً.

الفيلسوف ماذا تقولين؟

الزوجة لا شيء، كنت أتعايش مع ذاتي.

تجلس الزوجة على الأريكة وتتنظر إلى الصناديق.

الزوجة (بغضب وهي تشير إلى الصناديق في منتصف الغرفة) وهذه الأشياء لا أريدها!

الفيلسوف وأنا أيضاً لا أريدها، ستذكرني دائماً باليوم التعيس الذي حاولت فيه إصلاح علاقتنا. (مستغرباً) لا أعلم كيف جاءتني هذه الفكرة الغريبة.

الزوجة إنه أمر غريب فعلاً! أنت لم تفكر قبل اليوم في إصلاح علاقتنا.

الفيلسوف ولن أفعل بعد اليوم... لأنك ستفسدين كل محاولة أقوم بها كما أفسدت هذه المحاولة.

الزوجة لقد أفسدتها أنت منذ البداية بسوء اختيارك لأداة الإصلاح. لماذا لم تحضر شيئاً له قيمة بدلاً من السفرجل.

الفيلسوف من لا يرى قيمة الأشياء الصغيرة قد لا يقدر النفائس.

الزوجة لدي حكمة أفضل: نتيجة إصلاح العلاقات بالسفرجل الفاسد لا بد أن تكون فاسدة!

الفيلسوف (ينظر إلى الصناديق) إن النتيجة فاسدة فعلاً لأنها جعلتني أشتري هذه الأشياء بلا مبرر والآن يجب أن نتخلص منها لأننا لا نريدها...

(تبدو عليه الحيرة) ولكن.. ماذا نفعل بها؟

الزوجة نعطيها الجيران.

الفيلسوف حسناً.. ولكن.. هل عندنا جيران؟ (لا يسمع إجابة من زوجته) لا يهم! سأدخل لأبدل ملابسني.

يذهب الفيلسوف إلى الداخل وتتنهد الزوجة بضيق. يعود الزوج بعد قليل دون أن يغير ملابسه ويلتقط كتابه ويجلس على الكرسي بهدوء ويشرع في القراءة.

الزوجة هل نسيت أن تغير ملابسك؟

الفيلسوف لا ولكنني لم أجد ملابسني في الخزانة.

الزوجة لماذا لم تسأل عنها؟

الفيلسوف سألت، فعندما ألاحظ ظواهر غريبة في هذا الكون لا بد أن أتساءل.

الزوجة من سألت؟

الفيلسوف سألت نفسي.

الزوجة سألت نفسك؟

الفيلسوف نعم.

الزوجة (ساخرة) وماذا قالت لك نفسك؟

الفيلسوف قالت إن الوجود شيء لا نهائي وأن المواد التي تدخل حيز الوجود المادي لا تتحول إلى العدم وتختفي تماماً إذ لا بد من أن يظل لها وجود ماديّ بصورة ما وفي مكان ما، وحتى لو احترقت تماماً فإن جزئياتها المتحولة إلى غاز ورماد تنتشر في الهواء وتختلط

بجزئياته وتظل موجودة ولكن بشكل آخر من أشكال الوجود.

الزوجة (تنظر إلى ساعتها) لم تحترق بعد. (تلفتت إليه) ولكنك لا تريد ثيابك بشكل آخر.. تريد أن تلبسها الآن ونفسك لن تجيب عن هذا السؤال.

الفيلسوف بمعنى؟

الزوجة بمعنى أنك يجب أن تسألني أنا.

الفيلسوف لن أسأل كائناً زائلاً.

الزوجة ولكنك سألت نفسك وأنت كائن زائل.

الفيلسوف بل سألت روعي والروح أكثر دواماً من الجسد.

الزوجة أسأل روعي إذاً.

الفيلسوف لا أستطيع التخاطب مع روحك آلاً من خلالك

وعندما أسأل روحك فستضع الإجابة على لسانك كي

تنقلها إلي، ولكنها عندما تصل إلى لسانك فإنه

سيجري عليها التعديلات التي تريدينها قبل إبلاغي

إياها ولن تصلني الحقيقة أبداً.

الزوجة (بغضب) اسمع، أريد إجابة محددة وواضحة: هل

تريد ملايسك؟

الفيلسوف لن أسأل.

الزوجة ألا تريد تغيير الملابس لتي عليك؟ ألسنت بحاجة إلى ملابسك؟ ألا تريد الظهور دائماً بمظهر نظيف ومرتب؟

الفيلسوف (بهدهوء) الملابس ما هي إلا قشور ليس لها دلالة صادقة تماماً على نوعية الجوهر.

الزوجة (في غضب شديد وهي تهب واقفة) على كل حال إذا أردت أن تعرف مصير "قشورك" فاعلم أنني تخلصت منها! ألقيت بها في صندوق القمامة بعد أن غادرتَ المنزل هذا الصباح، ولقد غير الكناس كيس القمامة اليوم وستتحول ملابسك في فترة وجيزة إلى غاز ورماد يختلطان بجزيئات الهواء ويلوثان الجو. وإذا لم تسألني لماذا فسأخبرك أنني فعلت ذلك لأنك لم تشتري "قشوراً" جديدة منذ زمن بعيد وقد أصبحت متحفاً متحركاً وأنت تتجول في الشوارع مرتدياً هذه الأسماك البالية.

يطرق الفيلسوف برهة ثم يرفع رأسه وينظر إلى زوجته في صمت.

الزوجة (بتحدي) وحتى الملابس التي عليك الآن ينبغي التخلص منها وإذا لم تشتري لنفسك ملابس جديدة وتخرج من هذه الهالاهل لأتخلص منها هي أيضاً فستجد نفسك غداً جالساً القرفصاء بين النفايات في صندوق القمامة!

الفيلسوف لماذا توجبين علي أن أشتري ملابس جديدة؟ لقد كنت أحب ملابسي القديمة.

الزوجة لأن منظرِكَ أصبح مخجلاً بين الناس.

الفيلسوف تعلمين أنني لا أدع رأي الناس يسيطر عليّ.

الزوجة ولكن لماذا لا تشتري ملابس جديدة وأنت رجل غني.

الفيلسوف لأنني لا أرى أهمية لذلك.

الزوجة هل تريد أن يتهمك الناس بالبخل؟

الفيلسوف لست عبداً لرأي الناس، أريد أن أحيأ حراً، ثم أن من

يعلمون أنني غني يعلمون أيضاً أن قدرأ كبيراً من أموالي يذهب إلى جهات خيرية كل عام، أي أنهم يعلمون أنني لست بخيلاً.

الزوجة ولكن، هل تكون عبداً إذا لبست ملابساً أنيقاً؟

الفيلسوف نعم لأنني سأكون قد خرجت عن طبيعتي إرضاءً للناس.

الزوجة وماذا في ذلك؟

الفيلسوف سينقص مقدار ما يتمتع عقلي به من الحرية ومن ثم تقل قدرته على التفكير. العقل لا يعمل بكفاءة إذا شعر أنه مقيد.

الزوجة الملابس ستغطي جسدك وليس عقلك! ومع ذلك فما

الذي يستطيع أن يؤثر في عقلك المتحجر؟

الفيلسوف إذن كفي عن محاولة تغييرني.

الزوجة (تتنهد وتتنظر إليه بحيرة) أريد أن أفهم سبب تمسكك
بملابسك الرثة.

الفيلسوف السبب هو أنها تريحني.

الزوجة وما عيب الملابس الأنيقة؟

الفيلسوف لا عيب فيها لو كنت أفضلها. ولكني لا أفضلها،
أشعر بذاتي في ثيابي التي اعتدت لبسها...

الزوجة (تمرر نظرها على ملابس زوجها متفحصة) لا بد
أن ذاتك رثة ومهلهلة!

الفيلسوف ... وشعوري بذاتي يمنحني مزيداً من الحرية.

الزوجة تعني مزيداً من القدرة على مجالسة المساجين
والكناسين...

الفيلسوف لم أفكر في هذه المسألة قبل الآن ولكن، نعم، ملابسني
البسيطة تسهل عليّ مثل هذه الأمور.. لن يستغرب
أحدُ منظري وأنا أجالس منظم أحذية مثلاً.

الزوجة (تتنهد بضيق) وما الذي ستجده لدى منظم الأحذية؟

الفيلسوف إنني أحب الحصول على المعرفة من كل مصدر. لن
يكون كتابي إلا نتاج خبرة واسعة ودراسة وافية
للإنسان.

الزوجة ولكن بهذه الطريقة يفوتك الحصول على المعرفة من
خلال الأغنياء، أليس الغني أيضاً "إنسان"؟

الفيلسوف صحيح ولكن معظم معارفي أغنياء ولا أجد مشقة في الوصول إليهم.

الزوجة أما أنا فأجد مشقةً كبيرةً في الظهور أمامهم معك وأنت بهذه الهيئة.

الفيلسوف لذلك فأنت لا تفكرين كما يجب.

الزوجة (غاضبة) أنا أفكر كما تفكر ولكن بعقل. ومع ذلك فما علاقة تفكيري بخجلي من الظهور أمامهم معك؟

الفيلسوف تركتِ حكم الناس يستعبدك فقيدت عقلك. والعقل لا ينتج أفضل ما لديه من الفكر إلاّ عندما تتوفر له الحرية الكاملة.

الزوجة إذا كان معنى التفكير ارتداء تلك الملابس الرثة فأنا لا أريده!

الفيلسوف لا، التفكير ليس معناه ارتداء ملابس رثة، بإمكان الإنسان أن يرتدي ملابس فخمة ويفكر ولكن ينبغي عليه أن يكون مرتدياً تلك الثياب لأنها تريحه أو تسعده لا لأنه يريد أن يرضي الناس.

الزوجة لماذا تكره الناس!

الفيلسوف أنا لا أكره الناس! إن الإنسان هو قضيتي فكيف أكرهه.

الزوجة إذن فأنت تحب الإنسان ولكنك لا تحبه كإنسان مثلك وإنما كحيوان تجارب تدرسه وتشرحه.

الفيلسوف
لا. لا أتعامل مع الإنسان على أنه موضوع تجارب،
إنني احترمه ولكني أرفض أن أخشاه أو أخشى
رأيه.. أرفض أن أتركه يقيدني بمحاولة استرضائه
واستجداء احترامه.

الزوجة
إذا كنت ترفض ذلك فلماذا لا تهجر إلى منطقة
معزولة عن الناس وتعيش مثل إنسان كهوف فهنا لا
يوجد مكان لإنسان كهوف مثلك.

الفيلسوف
لن أكون حرّاً هناك. سيستعبدني البحث عن الغذاء
ويشغلني عن التأمل.

الزوجة
ولماذا تريد أن تحيا حرّاً بين الناس؟ لا حرية كاملة
بين الناس. ومن الخطأ أن تتخيل حرية بلا حدود.

الفيلسوف
أرفض أيضاً أن أكون عبداً للحدود.

الزوجة
هذا هو عيبك (بصوت منخفض) سأعترف لك
بشيء.. أحياناً تعجبني آراؤك ولكن ما إن أوشك أن
أغير نظرتي إليك حتى تفاجئني بتطرفك اللامعقول
فاستبعد كونك إنساناً عاقلاً... (تتنهد) مشكلتك هي
أنك لا تعرف الحدود.

الفيلسوف
بل إنها ميزتي... إن العقل حصان بريّ تحطمه
القيود ولا يستمتع إلا بالحرية.. وكلما تركنا متطلبات
الحياة تسيطر علينا زدنا الحبل الذي نربط به عقلا
قُصرأ، وأين حصان يرعى حيث شاء من حصان
مربوط إلى وتد...

أتركي حصانك البري ينطلق بلا كوابح بين البراري
والقفار وسيصل بك إلى مناطق لم تكوني تحلمين
بها.

الزوجة ولكني قد أتوه! (تنظر إليه بجدية) توجد حدود،
ويجب الوقوف عندها!

الفيلسوف أرفض أن يحد عقلي شيء.

الزوجة (بسخرية) لذلك تقع دائماً في المستنقعات!

الفيلسوف (يتنهد) ما أتعسني بك!

الزوجة (تبتسم) لماذا لا تطلقني؟

الفيلسوف لعدة أسباب (يتنهد وهو يأخذ وضعاً مسترخياً ويحدق
في فضاء الغرفة) أولها أن وجودك في حياتي
يعلمني الكثير فأنت خير نموذج أتابعه أثناء العمل في
كتابي، ثم أن التعاسة تشحذ الفكر وتولد التأمل،
وأخيراً لا أريد أن يكون حظي في الحياة خير من
حظ مثلي الأعلى سقراط.

(يلتفت إليها) ولكن لماذا لا تطلقين أنت الطلاق؟

الزوجة لن أفعل ذلك لأنني لست أنانية.

الفيلسوف (باستغراب) ماذا تعنين؟

الزوجة لا تظن أنك الوحيد الذي يهمله أمر البشرية، أنا أيضاً
أهتم بالعالم والناس.

الفيلسوف (باهتمام وهو يعدل جلسته) يسعدني أن أراك مهتمة بالعالم ولكني لم أفهم ما تعنين.

الزوجة أعني أنني إذا طلقت منك فستحل مشكلتي أنا فقط ولن أتمكن من تخليص البشرية منك... كيف سيهدأ لي بال إن طلقتك وأنا أعلم أن في العالم رجل يتجول في الشوارع بوعاء مثلوم وقشور بالية.

الفيلسوف لذلك تفضلين الحياة معي؟

الزوجة (تهز رأسها بالإيجاب) لأن ذلك قد يمكنني في يوم من الأيام من التخلص منك.

الفيلسوف (باستغراب) تريدان قتلي؟

الزوجة وأتمنى أن أنجح.

الفيلسوف (بدهشة شديدة) في قتلي؟

الزوجة إذا ظللت كما أنت.

الفيلسوف (يعود إلى وضعه المسترخي) سأظل كما أنا، ولكنك لن تظلي كما أنت.

الزوجة ماذا تعني؟

الفيلسوف يجب أن تري العالم كما أراه... تري معظم ما يتكالب عليه الناس تافهاً قليل القيمة، ومعظم ما يستهينون به عظيم الشأن. عندئذٍ... عندما تترين العالم بصورة أوضح وتتسامين عن توافه الأمور لن تطراً على بالك فكرة قتل إنسان، أيّاً كان.

الزوجة
وإن كان هذا الإنسان مهلهلاً مقززاً بارداً يثير في
نفسك رغبة عارمة في قتله في كل لحظة؟
الفيلسوف
وحتى لو كان متسلطاً جائراً متعدياً على حقوق غيره
وسليط اللسان.

الزوجة
ليتك أكلت السفرجلة.
الفيلسوف
(مبتسماً) هل كانت السفرجلة مسمومة.

الزوجة
لا ولكني اخترت لك الكبيرة عندما لاحظت أنها أكثر
فساداً من الصغيرة. كنت فقط أتدرب على قتلك وفي
المستقبل قد أتمكن من قتلك فعلاً (تبتسم ابتسامة
غامضة) ألسنت خائفاً؟

الفيلسوف
(بهدهوء وهو يفتح الكتاب) وما الضرر في شيء من
الخوف؟ كلما ازدادت المخاوف التي تحف بنا ازداد
تأملنا صدقاً وازدادت الأغشية التي تحجب عنا رؤية
الحقائق شفافية، ثم إن الموت يحرر الروح من الجسد
ومتطلباته التي تحد من حرية الإنسان فلماذا أخشاه؟

الزوجة
(بثقة) ولكنك لن تستمتع طويلاً بالتأمل والشفافية.

الفيلسوف
أعلم ذلك لأنك ستتغيرين لتتبعي الخطوات السليمة
لحل ألغاز الحياة. إحدى غاياتي في الحياة أن أغريك.

الزوجة
لن أتغير ولكنك ستموت قريباً لأن غايتي الكبرى في
الحياة هي أن أقتلك!

الفيلسوف
لم أكن أمزح!

الزوجة
الفيلسوف
(بلهجة جادة) ومن قال إنني أمزح!
(يعدل وضع نظارته وينظر إلى زوجته باهتمام) لا
تمزحين؟

الزوجة
الفيلسوف
لا. وسنرى من ينتصر.
(مندهبشاً) لماذا تريدني قتلي؟ لترثي أموالي وتفعلني
بها ما شئت؟

الزوجة
إن شركاتك وأمالك التي ورثتها – ولست أهلاً لها
لأنك تركتها بين أيدي موظفين غرباء وفضلت أن
تعيش معيشة لا علاقة لها بالثراء – قد تكون السبب
الأهم لقتلك لو كنت شخصاً آخر ولكن شخصيتك هي
التي تستفزني وتدعوني إلى التفكير في القضاء
عليك.

الفيلسوف
الزوجة
لماذا لا تُترك للإنسان الحرية في اختيار أسلوب
حياته الخاصة؟ ما وجه الغرابة في أن الأموال لا
تستهويني وأني أفضل منحها لمن يريدّها من الفقراء؟
كثير من الناس يعتقدون أنك مجنون لأنك تفعل ذلك.
ألا تعلم أن المال حرية أيضاً؟

الفيلسوف
أعلم ذلك فلو لم يكن لدي المال لأضعت الكثير من
وقتي في البحث عنه لتوفير ما أحتاجه... (يتنفس
بعمق ثم يبتسم) إنه فعلاً حرية... حرية استمتع
باستعبادها ولا أسمح لها باستعبادي.

(ينظر إلى زوجته بجدية) قد تقتنعين بكلامي في المستقبل.

الزوجة احلم كما تشاء! (تنظر إلى الأمام كالحالمة) لو وقع المال في يدي لما استعبدته إلا ببعثرته بسخاء مجنون على الرفاهيات التي حرمت منها طوال حياتي.

الفيلسوف ولكنك بدأت بالفعل النظر إلى الأمور بصورة مختلفة.

الزوجة (يبدو عليها عدم الفهم والحيرة) أنا؟!!

الفيلسوف (بلهجة واثقة) لقد ظهرت عليك بوادر التغيير.

الزوجة ماذا ظهر عليّ؟

الفيلسوف أصبحت أكثر هدوءاً، ومعنى ذلك أنك أصبحت أقل اكتراثاً بالأشياء الأقل أهمية في هذا العالم.

الزوجة (بصوت عالٍ) إذن ودّع الهدوء في هذا البيت

(تخفض صوتها) هذا قبل أن تودع الحياة... بمدة قصيرة جداً!

ستار

الأمسية الثانية

بعد سنة.

يدخل الفيلسوف وسبابه يده اليمنى ملفوفة بضمادة كبيرة جداً بحجم كرة التنس الأرضي وتحت ذراعه اليمنى كتاب وفي يده اليسرى جريدة مطوية. يمشي ببطء وهو ينظر إلى إصبعه المضمد وقد بدا عليه الحزن الشديد إلى أن يصل إلى كرسيه ويجلس عليه. يضع الكتاب والجريدة جانباً ويتكىء على ذراع الكرسي مسنداً رأسه بيده اليسرى وهو ينظر إلى الأمام ساهماً. تدخل زوجته وتقترب منه.

الزوجة (باستغراب) ماذا حدث؟ أنت لا تقرأ الجريدة (تنظر

إلى ساعتها) ألم يأت مواعدها بعد؟

الفيلسوف أنا حزين.

الزوجة (بدهشة) حزين! لم أرك حزيناً من قبل. ما الخطب

العظيم الذي أحزنك؟ (تجلس على الأريكة).

الفيلسوف لقد أصيب أصبغى برضة قوية. أغلق عليه باب

السيارة. (يرفع يده ببطء ليريها أصبغى المضمد).

الزوجة وماذا في ذلك؟ (ترى أصبغى فتضحك بشدة) لم أر

في حياتي إصبغاً متورماً إلى هذا الحد!

الفيلسوف إن هذا ليس تورماً. إنه ضمادة.

الزوجة ضمادة! ولماذا كل هذه اللفة؟ إنها تكفي أصبغى

كلها!

- الفيلسوف نعم.. لقد ملّ موظف الطوارئ من بقية لفة الضمادات وأراد التخلص منها ليفتح صندوقاً جديداً.
- الزوجة ولماذا تركته يتخلص منها بلفها حول إصبعك؟ ألا توجد سلة مهملات هناك.
- الفيلسوف لم أعلم أنه يحاول التخلص منها إلاّ بعد أن انتهى من لفها كلها لأنه عندما انتهى من ذلك تنفس الصعداء وابتسم ابتسامة كبيرة وقال: "أخيراً تخلّصت من بقية الضماد القديم!".
- الزوجة لو كنت مكانك لجعلته يفتحها مرة أخرى بعد أن اعترف بذلك.
- الفيلسوف كنت على وشك أن أفعل ذلك ولكني سمعت صراخ مصاب بالخارج ينتظر دوره.. فتنازلت.
- الزوجة تنازلت كالعادة وفضلت العودة بهذه الكرة! كل الناس يستغلونك وأنت تبتسم في بلاهة مفترضاً حسن النية! ولكن لماذا الحزن على أصعبك؟ ألسنت تقول إن الأجساد أوعية لا يضر ثلمها إذا سلم ما تحويه؟
- الفيلسوف إلاّ أصابعي! كثيراً ما أنقذتها من إصابات محتملة وكنت دائماً أنجح في تحويل أي إصابة تكاد تصاب بها إلى عضو آخر من أعضائي.
- الزوجة لماذا؟ ما أكثر المرات التي كسر فيها ذراعك وساقك ولم تبال كثيراً فكيف تبالى ببضعة أصابع؟

- الفيلسوف (يتنهد بضيق) أنت لا تفهمين شيئاً، فدعيني لهمي.
- الزوجة أنا أفهم كل شيء ولكنك غريب الأطوار. ما الشيء الهام في أصابعك؟
- الفيلسوف (بضيق) هل نسيت أنني أكتب بها؟ كيف أكمل كتابي الآن وحرف التاء مضمّد.
- الزوجة حرف التاء.. مضمّد؟
- الفيلسوف نعم، هذا الإصبع المسكين مخصص لحرف التاء في الآلة الكاتبة والكمبيوتر. كيف أوصل العمل في كتابي بدون حرف التاء؟ كيف أكتب الكلمات المحتوية على هذا الحرف الآن؟
- الزوجة اكتبها بدون حرف التاء ثم أضفه إليها في المستقبل!
- الفيلسوف لا.. إذا كتبت الكلمات ناقصة فسأنسى ماذا كنت أريد أن أقول. يجب أن أكتبها كاملة.
- الزوجة (تتنهد) مسألة بسيطة! استخدم يدك بدلاً من الآلة الكاتبة.
- الفيلسوف وكيف أكتب وإصبعي مضمّد؟ هل نسيت أنني أكتب بيدي اليمنى؟
- الزوجة كل هذا من أجل كتابك! الكتاب الذي بدأت منذ عشرة أعوام وستموت قبل أن تنتهيه؟
- الفيلسوف ما الذي يجعلك تظنين أنني لن أنهيه؟

الزوجة لو كنت قادراً على إنهائه لما استغرقت كتابته كل هذه المدة.

الفيلسوف (بصوت منخفض) إنك الجهل بعينه.

الزوجة (غاضبة) لا تدعي أنك تتعايش مع نفسك، لقد سمعت ما قلت. (بحدة) لقد أهنتني يبدو أن ألم إصبعك أفقدك صوابك!

الفيلسوف لا لم يفقدني صوابي ولكنه أفقدني صبري عليك.

الزوجة (صارخة) ماذا حدث لك اليوم؟ لماذا كل هذا؟

الفيلسوف لأنك أدعيت أنني غير قادر على إنجاز عملي.. مع أنني أنهيت ثلاثة أجزاء منه!

الزوجة (بدهشة) كيف تذكرت ما قلت؟ هل قويت ذاكرتك فجأة؟

الفيلسوف (بألم) تذكرت بسهولة لأن عقلي أصبح فارغاً بسبب الحزن.

الزوجة أتمنى أن تحزن إلى الأبد إذاً!

الفيلسوف هل تعلمين لماذا استغرق العمل في الكتاب زمناً طويلاً؟

الزوجة إنك حقاً تتذكر كل شيء!

الفيلسوف .. لأن موضوع الكتاب يحتاج الكثير من الدراسة والمراقبة ..

الزوجة أعلم ذلك. أخبرتني بذلك من قبل.

- الفيلسوف لماذا نسيتِ إذناً؟
 الزوجة أنت تنسى كل شيء، ولا تريدني أن أنسى شيئاً واحداً؟ ثم إنك تعلم أنني لا أثق بأفكارك ولا أوليها كبير اهتمام.
- الفيلسوف أما هذه فأعلمها جيداً.
 الزوجة وأعلم أيضاً أن كتابك يتناول الأسباب التي تؤدي إلى سوء الأخلاق.
- الفيلسوف موضوعه دواعي الفضائل والردائل.
 الزوجة ستمضي عمرك كله في المراقبة والجري خلف المجرمين وكل أنواع البشر وستقرأ كل الكتب الموجودة في المكتبات وكل الحوادث والغرائب التي تنشرها الصحف بلا جدوى لأن الفضيلة والرذيلة ليس لهما أسباب.
- الفيلسوف هل تؤمنين أن الإنسان يولد شريراً بطبعه أو خيراً بطبعه في جميع الحالات؟
 الزوجة نعم. أنا متأكدة من ذلك والدليل أننا كثيراً ما نجد أبناء الخيرين خيرين وأبناء الأشرار أشراراً.
- الفيلسوف (بهدوء) وماذا تقولين في احتمال أن أبناء الخيرين خيرون لأنهم ينشؤون في بيئة تمنحهم فرصاً أكبر ليكونوا كذلك بعكس أبناء الأشرار؟
 الزوجة لا أقول شيئاً (تتأهب) فليست بي رغبة في الكلام والنقاش الآن.
- الفيلسوف اسمعي رأيي إذناً (بهدوء) أرى أن الإنسان كشخصية يتكون من أربع طبقات...

الزوجة لماذا عدت إلى تفلسفك؟ هل نسيت إصبعك المصاب؟
إصبعك المسكين.. حرف التاء!

الفيلسوف لا لم أنس إصبعي ولكنني تذكرت أن هذا النوع من الإصابات يُشفى سريعاً، وتذكرت أيضاً أنني أستطيع الضغط على مفتاح التاء بإصبع آخر، وأني أستطيع أن أُملي على أحد.

الزوجة لن يقبل أحدٌ هذه المهمة.
الفيلسوف (وهو يلتقط الجريدة وينشرها أمامه) لماذا؟

الزوجة لأن كلامك سخيف، كيف يكون للإنسان أربع طبقات؟ هل هو فطيرة أم كعكة في نظرك؟

الفيلسوف إن الإنسان يتكون فعلاً من أربع طبقات.
الزوجة (تنظر إلى نفسها برهة) كيف؟

الفيلسوف (يضع الجريدة جانباً) المظهر الخارجي للإنسان، أي ما نراه منه وما نلمسه من سلوكه وظروفه هو الطبقة الأخيرة أي الرابعة.

الزوجة طبقة الكريم الذي يغطي الكعكة!
الفيلسوف وتأتي خلف هذه، الطبقة الثالثة وتتكون من الظروف المحيطة بالإنسان مثل مستوى المعيشة والأهل والأصدقاء...

الزوجة شريحة الكعكة الإسفنجية.. الهشة!
الفيلسوف ... والفرق الأساسي بينها وبين الطبقة السابقة أنها

تتضمن ما لا يراه الآخرون وربما الإنسان نفسه – من عوامل تؤثر في سلوكه وردود فعله. مثلاً قد يرى الإنسان إنساناً يعيش في عائلة تبدو تعيسه أو سعيدة ويكون العكس هو الصحيح. في هذه الحالة يكون واقع الحال الذي لا يعرفه الآخرون هو العامل المؤثر الحقيقي في سلوك هذا الإنسان...

الزوجة فعلاً. لا أحد يرى إن كانت شريحة الكعكة محترقة أم سليمة تحت طبقة الكريمة.

الفيلسوف ... ثم تأتي الطبقة الثانية وتشكلها الظروف التي أحاطت بالإنسان في طفولته ومراحل حياته المبكرة وأثرت في تكوين شخصيته...

الزوجة أم.. طبقة الفواكه المشكلة. الفيلسوف وأخيراً تأتي الطبقة الأولى وهي اللب أو جوهر شخصية الإنسان ويوجد بها الاستعداد للخير أو الشر وهي تتفاعل مع الظروف والمؤثرات الخارجية التي تتعرض لها الثلاث طبقات الأخرى..

كتابي يتناول هذه الطبقات مع شيء من التركيز على الطبقة الثالثة وما تتعرض له من ظروفٍ محيطة تؤثر في أخلاقيات الإنسان التي نلمسها من خلال طبقاته الرابعة.

الزوجة انتظر قليلاً! لقد اختلطت طبقات الكعكة ببعضها وانهرست!

الفيلسوف وهذا ما يحدث لطبقات الإنسان فهي تتداخل مع بعضها.

الزوجة كيف؟

الفيلسوف قد تكون استجابة الإنسان التي نراها من خلال الطبقة الرابعة حيال موقف معين آتية كنتيجة لخبرة تكونت في الطبقة الثانية أو الثالثة وأحياناً بسبب الاستعداد

لخلق معين وهذا في الطبقة الأولى. مثلاً عندما تُقدم سيجارة لشخص ما فيرفضها فقد يكون سبب هذه

الاستجابة التي ظهرت على الطبقة الرابعة هو خبرة من الطبقة الثانية كأن يكون قد جرب التدخين في

طفولته فسبب له اختناقاً جعله يخشاها طوال حياته، أو بسبب خبرة تكونت في الطبقة الثالثة كأن يكون قد

قرأ عن مزار التدخين واقتنع بما قرأ، أو بسبب الطبقة الأولى والثالثة كأن يكون قد وعد شخصاً في الطبقة الثالثة بعدم التدخين وأملى عليه احترامه للعود – المتأصل في الطبقة الأولى – رفض السيارة.

الزوجة وربما كانت السيارة المعروضة عليه من صنفٍ رديءٍ، (ساخرة) ألا يستدعي ذلك وجود طبقة خامسة؟

الفيلسوف لا. في هذه الحالة تكون الطبقة الرابعة والثالثة هما السبب لأن الرابعة بها الذوق والثالثة بها الخبرة التي دلت هذا الشخص على كون السيارة المعروضة غير مرضية لذلك الذوق.. مهما أتيت من الأمثلة فلن تخرجي عن نطاق الطبقات الأربع ويستدعي ذلك أن تكون طبقات الإنسان متداخلة؛ يؤثر بعضها في بعض ويمزج بعضها بعضاً... تلك حقيقة مثبتة.. أنا أثبتّها.

الزوجة (بسخرية) إذن فالإنسان يتكون من أربع طبقات! (بصوتٍ عالٍ) وردة!

تأتي وردة مسرعة تبدو عليها الدهشة.

وردة (وهي تجفف يديها بمنشفة صغيرة) نعم يا سيدتي.

الزوجة هل تعلمين أنك مكونة من أربع طبقات؟

وردة أربع طبقات!؟

الزوجة نعم! أربع طبقات يسيح بعضها فوق بعض!

وردة (مستاءة) ماذا تعنين؟ ماذا فعلتُ لأستحق ذلك؟

الزوجة لا شيء. إنسي ما قلت. هل انتهيت من إعداد العشاء؟

وردة (لا تزال مستاءة) نعم.. هل أعد السفرة الآن؟

الزوجة الفيلسوف (تلفتت إلى زوجها) بأي طبقة تعد وردة الطعام؟
 الرابعة مع الاستعانة ببعض الخبرات التي كونت في الطبقة الثالثة.
 الزوجة (تلفتت ثانية إلى وردة) أرجو أن تكون طبقتك الرابعة قد أعدت طعاماً جيداً.

تبدو الحيرة على وردة ثم تمشي إلى المطبخ وهي تفكر.

الزوجة (تفكر قليلاً ثم تلفتت إلى زوجها) ولكني لا أظن أن كل الناس كعكات منهرسة. لا توجد إلا كعكة منهرسة واحدة في العالم (بتحسر) وقد ألفت في وجهي أنا!

الفيلسوف (بلا مبالاة وهو ينشر جريدته) لم أقل إن الناس كعكات منهرسة، ذلك كلامك أنت.

الزوجة لقد قلت إن الإنسان طبقات متداخلة!

الفيلسوف ولكني لم أقل إنه كعكة منهرسة.

الزوجة وما الفرق؟

الفيلسوف (وهو يحول نظره إلى الجريدة لبدأ القراءة) ألا تستطيعين التفريق بين ما له قيمة من الكلام وما ليس له قيمة؟

الزوجة (بدهشة) ما قيمة أن نقول إن الإنسان طبقات؟

الفيلسوف عندما نحدد ما يؤثر في سلوك الإنسان قد نتمكن في المستقبل من تحسين أخلاق الناس والقضاء على الجريمة.

الزوجة (ضاحكة) الجريمة وجدت مع الإنسان ولن تنتهي إلا بنهايته وتقسيم الإنسان إلى طبقات لن يقضي على قدرته على ارتكاب الجريمة.

الفيلسوف (وهو ينظر إلى الجريدة) إنك من المتشائمين.

- الزوجة أفضل أن أكون من المتشائمين على أن أكون من البلهاء!
- الفيلسوف (مستاءً) شكراً.
- الزوجة لا شكر على واجب! (تلفت إليه) إن الإنسان مخلوق مسكين لا يلجأ إلى الجريمة إلا عندما يصبح العالم من حوله سيئاً، فلماذا تريد تفتيته إلى طبقات؟
- الفيلسوف ولكن "العالم من حوله" يدخل في طبقاته المختلفة.
- الزوجة حتى مسؤولية العالم تحمله إياها!
- الفيلسوف لا أحمله مسؤولية العالم ولكني أحمله مسؤولية الجرائم التي تحدث في العالم.. بالتحديد ألوم طبقاته التي تؤثر في سلوكه.
- الزوجة وكيف تلومها؟
- الفيلسوف قد نتمكن في المستقبل من تنقية كل الطبقات من العوامل التي تؤثر فيها تأثيراً سلبياً وتدفع الإنسان إلى سوء الخلق والجريمة.
- الزوجة ما أسعد المتشائمين! وما أبأس الإنسان!
- الفيلسوف نعم، الإنسان.. تلك الأنا العملاقة... ذلك الكائن العاشق لنفسه أبداً لا بد أن تُدرس طبقاته لتهيئة ظروف أنسب تتكون فيها وليروّض كي يرى أن العالم لا يبدأ وينتهي به وأن الأرض لا تدور من أجله.
- الزوجة نوبة الهذيان ثانية!
- الفيلسوف إنه ليس هذياناً. (ينظر إلى زوجته ويشير إليها بإصبعه المضمّد) كإنسان، أنتِ حقاً السبب في كل ما يحدث في العالم من جرائم لأنك مخلوق أناني.
- الزوجة (بدهشة كبيرة) أنا؟ (تنظر إليه بخوف) كنت أعلم أن هذا سيحدث في أحد الأيام!

- الفيلسوف ماذا تعنين؟
- الزوجة (لا تزال خائفة) كنت على يقين من أنك ستفقد عقلك في أحد الأيام.
- الفيلسوف ولكنني لم أفقد عقلي!
- الزوجة لماذا اتهمتني إذن بأني السبب في كل الجرائم؟
- الفيلسوف (مبتسماً) لم أتهمك شخصياً. كنت أخطب الإنسان فيك.
- الزوجة (بصوت منخفض) أول أعراض الجنون! (تلقت إليه) ولكن لماذا تظن أن الإنسان أناني!
- الفيلسوف لأن نفسه تكون محوراً لسلوكه وردود فعله أو على أقل تقدير سبباً غير مباشر لها، فهو كثيراً ما يقوم بأفعال من أجل نفسه وإن كان في ذلك مضرة لغيره.. وكثيراً ما يتجاهل الآخرين كما يمشي المارد فوق العشب! لا يهمه كم عشب سحق وكم عشب انتزع.. أما عندما ينام، فتلك هي المصيبة الكبرى لأنه لن يسمع أنين آلاف الأعشاب المتواصل تحت جسده الهائل.
- الزوجة ولكن الأعشاب لا تشعر بشيء ولا سبيل إلى تجنب المشي عليها وإلا لما نبتت ملاصقة للأرض.
- الفيلسوف ولكني لا أتحدث عن الأعشاب بل عن الناس الذين في ضعف الأعشاب تحت قدمي المارد والذين أنبتتهم ظروفهم ملاصقين للأرض.
- الزوجة ولكن ليس كل الناس مرده. بعض الناس كنسمات الهواء اللطيفة المليئة بالحب والخير.
- الفيلسوف وحتى الحب لا يوجد في الإنسان إلا ولنفسه علاقة بذلك ومكافأة معينة، فالإنسان لا يحب الغرباء الذين لا علاقة لهم به... لا يحب إلا أبناءه وتلك غريزته

وأيضاً لأنهم امتداد له، وأهله وأصدقائه والمقربين منه لأنهم يحبونه ويحيطون به، وعندما يفعل الخير يفعله لأنه يرضي نفسه وضميره أو يكسبه مزيداً من تقدير الآخرين وحبهم.. كل شيء ينبثق من حبه لذاته، تلك فطرته ولا اعتراض عليها طالما أنها تؤدي إلى الحب والخير. لا اعتراض إلا على الأنانية الضارة.

الزوجة لماذا تشوه العلاقات الإنسانية السامية بربطها بالأنانية؟ ظننتك من البلهاء ولكن اتضح أنك من المتشائمين!

الفيلسوف هل معنى ذلك أنك أصبحت من البلهاء؟
الزوجة (وهي تقوم من مكانها) ما أقدرك على جلب الصداع!
الفيلسوف ولكن لا تبتئسي فعندما يتم تحليل طبقات الإنسان سنتمكن من تعزيز تلك الأنانية الإيجابية أو "العلاقات الإنسانية السامية" وقد نقضي على الأنانية السالبة.

الزوجة (لنفسها وهي تتجه إلى الداخل) منطقتك المتفائلين البلهاء!

تغادر الزوجة الغرفة بينما ينشر الزوج الجريدة أمامه ويبدأ القراءة. تنقل وردة الصحون إلى منضدة الطعام إلى أن تنتهي من إعدادها ثم تلتفت إلى الفيلسوف.

وردة الطعام جاهز يا سيدي.
الفيلسوف حسناً يا.. يا..

تتجه وردة إلى الداخل ويقوم الفيلسوف من مكانه ويذهب إلى المطبخ بينما تدخل الزوجة وتجلس على أحد المقاعد أمام منضدة الطعام.

يعود الفيلسوف وهو يجفف يديه ويجلس مع زوجته أمام المائدة وبيدآن الأكل.

الفيلسوف (وهو ينظر إلى الطعام) هل تعلمين أن الطعام أحد الظروف التي تشكل الطبقة الثالثة في الإنسان.

الزوجة (بضجر) الطبقات مرة ثانية! لقد كنت أمل أن تعود إلى طبيعتك الكثيرة النسيان قبل الجلوس إلى المائدة!

الفيلسوف لقد أثبت العلم الحديث أن بعض أنواع الطعام يعزز في الإنسان الميل إلى الشغب، والشغب كما تعلمين قد يؤدي إلى الجريمة.

الزوجة جريمة أيضاً؟ على المائدة!

الفيلسوف (بهدهوء) لا، الجريمة ليست على المائدة ولكن بعض العوامل المؤدية إليها قد توجد على موائد بعض الناس.

الزوجة (تنظر إلى الطعام بدهشة) تعني أن هذا الطعام قد يؤدي إلى قتلك مثلاً؟

الفيلسوف ليس هذا الطعام بالذات ولكن توجد أنواع عديدة من الأطعمة القليلة الفائدة الكثيرة الضرر التي بإمكانها استقزاز الإنسان.

الزوجة كف عن هذا الكلام الأجوف! المجرم ليس بحاجة إلى طعام يدفعه إلى الجريمة والطعام مهما كان نوعه أضعف من أن يستفز الناس. (تنظر إليه نظرة اتهام) لا يستفز الناس إلا ناسٌ مثلهم.

الفيلسوف لا تتهاوني بقدرات الطعام. الطعام وقود هائل.. طاقة بإمكانها أن تعين الإنسان على العمل والإبتكار وباستطاعتها أن تسبب له الخمول، بل إن نقصها قد يدمر الإنسان.

الزوجة (بغیظ) ولكنه لا يستفز الناس!

الفيلسوف بل يفعل! تخيلي إنساناً يمضي مدة طويلة وهو مضطر إلى تناول طعام رديء قليل التجميد قيمته الغذائية التي وضعتها فيه قوى الطبيعة وأنتجت إضافة المواد الحافظة والمنكهات الصناعية مواد ضارة اختلطت به.. لا بد أن يكون لذلك تأثيره السلبي على قوة احتماله للظروف الخارجية... وتظل قوة تحمله تضعف إلى أن يصل إلى مرحلة الانفجار. (يضع لقمة في فمه).

الزوجة الانفجار!

الفيلسوف (يبتلع لقمته) نعم!

الزوجة ولكن قد يقوم الناس بأعمال عنف وشغب أو حتى قتل بدون أن يكون للطعام أدنى دور في ذلك. (تضع لقمة في فمها).

الفيلسوف صحيح، فالطبقة الثالثة للإنسان لا يشكها الطعام فحسب بل تتشكل من عوامل أخرى كثيرة جداً معظمها أهم من الطعام.

الزوجة (بتحدي) وحتى الطبقة الثالثة قد لا يكون لها دور في القتل.

الفيلسوف صحيح، فالإنسان لا يتكون من الطبقة الثالثة فحسب. (بغضب) وقد لا يكون لأي طبقة من الطبقات دخل في القتل!

الفيلسوف كيف؟ لا بد لطبقة من الطبقات أن تكون مسؤولة عن عملية القتل.

الزوجة (تتنهد بضجر) هذا ما تحاول إثباته ولكنه هراء.

الفيلسوف إنه ليس هراءً. أليس لكل شيء يفعله الإنسان سبب؟ بلى.

الفيلسوف وكل سبب يقع في طبقة.

الزوجة إنك تثرار خصوصاً عندما يكون الموضوع حول نظرياتك السخيفة وأفكارك.. وأنت فوق ذلك متناقض!

الفيلسوف (يعدل وضع نظارته ويتوقف عن الأكل) متناقض؟
الزوجة نعم! لأنك ألقيت محاضرة عامة في مزايا الصمت في الأسبوع الماضي بينما أنت تثرار في البيت.

الفيلسوف عندما يكون موضوع الكلام مفيداً فهو ليس ثرثرة، مثلاً، هل يتعلم تلميذ شيئاً من مدرس صامت؟ (يضع لقمة في فمه ويأكلها) ولكني نسييت أن أسألك عن رأيك فيها.

الزوجة إنها أغرب وأسوأ محاضرة سمعت بها في حياتي.
الفيلسوف لماذا؟

الزوجة لأنك عندما حان موعد المحاضرة نسييت كل شيء وأخذت تنظر إلى الناس في بلاهة ولم تنطق بحرف لمدة لا تقل عن عشر دقائق.

الفيلسوف لا لم أنس شيئاً! كل شيء كان مكتوباً أمامي. كان ذلك الصمت متعمداً! استخدمته كوسيلة إيضاح لأن المحاضرة كانت عن الصمت وبسكوتي جسدت الصمت.

الزوجة ولكنك عندما "جسدت" الصمت مدة طويلة نام بعض الحضور.

الفيلسوف ولكني بعد أن ضربت لهم مثلاً واضحاً للصمت وما فيه من معانٍ وحفزٍ على التأمل، تكلمت بالتفصيل عن مزاياه.

الزوجة نعم، وعندئذٍ نام من ظل مستيقظاً أثناء صمتك!

الفيلسوف ولكن، ألم يعجبك شيء فيها؟

الزوجة (تبتلع لقمتها) بصراحة لم أسمع الكثير مما قلت.

الفيلسوف (باستغراب) لماذا؟

لأنني كنت من الفريق الذي نام عندما تكلمت.

الفيلسوف

الزوجة

يصمت الفيلسوف وقد بدا عليه الاستياء ويواصل الأكل بهدوء.

الزوجة أرى في عينيك حقداً يذكرني بحقد جارتنا العجوز.

الفيلسوف هل لدينا جارة عجوز وحقود؟

الزوجة نعم. وهي أيضاً شرسة.

الفيلسوف وهل تعد طعاماً جيداً؟

الزوجة لا. إن طعامها سييء.

الفيلسوف ربما كان ذلك هو السبب في شرستها.

الزوجة (يبدو عليها الغضب وتمسك السكين بقوة بيدها

اليمنى وتهوي على المنضدة بقبضتها اليسرى) ولكني لو قتلتك فلن يكون للطعام الذي أكله دخل في ذلك.

الفيلسوف (وهو يواصل الأكل) ما الذي سيكون له دخلٌ إذا؟

الزوجة أنت وبرودك!

الفيلسوف إذن أنت تؤيدين نظريتي لأنني أعتقد أن معظم

أسباب الجريمة تقع في الطبقة الثالثة فأنا وإن كنت أتعامل مع طبقتك الرابعة – إلا أن تأثيري الذي من شأن سلوكك أن ينفعل به يتركز في طبقتك الثالثة، وهذا التأثير يدفع طبقتك الرابعة...

تقف الزوجة غاضبة وتحمل صحن زوجها وتسكب محتوياته على رأسه ثم تجلس ثانية. ينظر الفيلسوف إلى زوجته مذهولاً لحظات والطعام يتساقط من على رأسه ثم يكمل كلامه بهدوء.

الفيلسوف إلى سكب الطعام على رأسي!

ستار

الأمسية الثالثة

بعد سنة

يدخل الفيلسوف وتحت ذراعه اليسرى جريدة مطوية وفي يده اليمنى نفاخة زرقاء مربوطة بخيط وهو ينظر إليها بسرور ويتجه إلى كرسيه ويجلس عليه ويضع الجريدة جانباً ويمد ساقيه واضعاً إياهما على المنضدة أمامه.

تدخل الزوجة فيلفت نظرها منظر زوجها. تتقدم إليه.

الزوجة (باستغراب واستهجان) ما هذا؟

الفيلسوف (مبتسماً) إنها نفاخة.

الزوجة أعلم أنها نفاخة ولكن ماذا تفعل بها؟ (باهتمام) هل رأك

أحد الجيران؟ (تقترب من النفاخة خلفه وتنظر منها وهي تلتفت يميناً وشمالاً بقلق).

الفيلسوف لا أظن أن أحداً رأني ولكن ما أهمية ذلك؟

الزوجة هل رأيت في حياتك رجلاً شارف الخمسين يلهو بنفاخة؟

الفيلسوف لا.

الزوجة أنظر إلى المرأة إذن وستعلم كم هو مخجل!

الفيلسوف أنا لا ألهو بها!

الزوجة ماذا تفعل بها إذاً؟ (بسخرية) تقرأ فيها طالعك؟

الفيلسوف لو كان الطالع يكتب في النفاخات لتكالب عليها الكبار

قبل الصغار.

الزوجة
الفيلسوف

(بملل) أصبحت تفكر في الطبيعة.
نعم. عندئذٍ قررت أن أسافر بهدف التعلم، فقط من الحياة
والطبيعة المختلفة لكل أقليم، وجبت نصف العالم تقريباً
لهذا الغرض.. الغريب في الأمر هو أنه عندما كنت أريد
الاستمتاع استمتعت وتعلمت ولكن عندما كنت أريد أن
أتعلم فقط لم أتعلم كما يجب ولم أستمتع كثيراً.

الزوجة
لماذا؟

لم أتعلم كما يجب لأن الأهداف عندما تكبر أكثر من
اللازم تتقاصر عنها النتائج، ولم أستمتع كما يجب لأن
خيبة الرجاء لشعوري بأنني عجزت عن تحقيق أهدافي
عكّرت صفوي فتوقفت نهائياً عن التنقل من بلد إلى
بلد...

الفيلسوف

الزوجة
وقررت الاهتمام بالنفخات بدلاً من ذلك؟

لماذا تقاطعينني؟

الفيلسوف

لأنكرك ببداية الموضوع لأنه خيّل إليّ أنك نسيت أنك
كنت تخبرني عن قصة النفخة.

الزوجة

(بضيق) كيف أنسى قصتها وهي أمام عيني طوال
الوقت؟ (بهدهوء) أين وصلنا؟

الفيلسوف

(وهي تتنأب) عندما توقفت عن السفر.

الزوجة

نعم. توقفت عن السفر لأنني كنت أذهب إلى كل مكان
وفي رأسي علامة استفهام كبيرة...

الفيلسوف

بحجم النفخة التي في يدك؟

الزوجة

الفيلسوف

(متفحصاً النفاخة بعينيه) بل أكبر منها بكثير، كنت أذهب وفي نيتي التخلص من هذه العلامة ولكني أعود وقد أضيفت إليها علامات استفهام أخرى.. (يتنهد) كنت أستقل ما يدخل عقلي من معرفة وأريد أن أستوعب كل العلوم دفعة واحدة. وكان ذلك مستحيلاً طبعاً، لذلك مللت السفر، وعدت يائساً من قدرتي على التعلم. وقررت أن أستقر هنا وأخذت أقرأ كتباً كثيرة شغلاً لوقتي... قرأت في معظم المواضيع: في الفلسفة والعلوم واللغة والدين والجغرافيا والتاريخ..

الزوجة

والنفاخات (تتنأب وتغمض عينيها).

الفيلسوف

ولكن الشعور بالفشل ظل ملازماً.. مررت بعلم كثيرة جداً ثم توقفت عند الفلسفة. شعرت أن هذا المجال يستهويني ويمنحني فرصة اختبار الحياة وقوانينها بطريقتي الخاصة، (ينظر إلى زوجته) هل نمت؟

تفتح الزوجة عينيها بسرعة وتلتفت يميناً وشمالاً بدهشة.

الفيلسوف

هل أعيد عليك الجزء الأخير؟

لا!

الزوجة

الفيلسوف

(يتذكر قليلاً) لاحظت أن الناس قديماً كانوا يتعاملون مع العلم ككيان واحد يؤخذ كله أو يترك كله. وعليه، كان الفيلسوف أو العالم يتعلم تقريباً كل العلوم الموجودة آنذاك...

تهزُّ الزوجة رأسها مؤيدة وتغمض عينيها مرة أخرى.

الفيلسوف تخيلت كل من أولئك الفلاسفة بما يخترنه من علوم ممسكاً بخيوط كثيرة جداً، كل خيط منها يشكل مفتاحاً لأحد تلك العلوم فبدا لي - آنذاك - أن منظر الفيلسوف القديم بالخيوط الكثيرة التي يجمعها في يده يشبه منظر بائع النفاخات عندما يحملها كلها في يده.

تنتبه الزوجة فجأة وتفتح عينيها.

الزوجة أخيراً ذكرت النفاخات!

الفيلسوف... بينما أصبح الفيلسوف الحديث وكل الناس يتخصصون في نوع واحد من العلوم، أي أن الإنسان الحديث أصبح يحمل نُفاخة واحدة أو اثنتين.. فعرفت أنني لم أتعلم كما كان يجب لأنني كنت أثقل على نفسي وأحملها فوق طاقتها... فقررت أن أحمل نُفاخة واحدة.

الزوجة ولذلك اشتريت هذه النُفاخة؟

الفيلسوف لا طبعاً! النفاخة التي قررت أن أحملها هي شخصية الإنسان بأخلاقياته وطبقاته وصفاته.

الزوجة (بغضب شديد) لماذا اشتريت هذه النفاخة إذاً؟

الفيلسوف انتظري حتى يأتي ذكرها.

الزوجة كل هذه القصة وأحداثها المملة ولم يأتِ ذكرها بعد!

الفيلسوف (بهدهوء) لم يبق إلا القليل، انتظري.

الزوجة (تتنهد بضيق) لماذا سألت! ألا أتعلم من أخطائي السابقة!

الفيلسوف ماذا كنت أقول؟ (ينظر إلى النفاخة) نعم! وبما أنني أثرت أن أحمل نفاخة واحدة فقد قررت أن تكون النفاخة التي أحملها كبيرة جداً...

الزوجة لذلك عدت إلى الجامعة وأكملت دراستك حتى حصلت على الدكتوراه... التي لم تفعل بها شيئاً يذكر!

الفيلسوف ولكنني تعلمت! ماذا كان ينبغي عليّ أن أفعل بها في رأيك؟

الزوجة تعمل! تواصل التدريس بالجامعة لا أن تتوقف عنه بعد أقل من عشر سنوات.

الفيلسوف ولكنني وجدت بعد السنة السابعة أنني كدت أتوقف عن النمو. كان من الأفضل أن أتوقف لأنمو من جديد. كيف أعلم الناس وأنا نفسي بحاجة إلى مواصلة التعلم.

الزوجة ولكن أرسطو وغيره فعلوها.

الفيلسوف كان الأستاذ آنذاك يتمتع بحرية أكبر، لم يكن يعاني من قوانين الامتحانات وغيرها من النظم المملة وكان يختار ما يعلمه كماً ونوعاً بلا تدخل يذكر من جهاتٍ أخرى. وكذلك كان الطالب حراً، كان يتعلم الشيء لأنه يريد تعلمه لا كشيء مفروض عليه لتكملة متطلباته. أظن أن التعامل مع الطلاب كعقلية تتلقى العلم من أجل العلم كان أفضل، وعملية التعليم كلها كانت أسهل. أما الآن فالحرية المتاحة غير كافية... (يفكر قليلاً) وحتى النمو الذي تطالب به الجامعات الأساتذة يأتي كضغط على الأستاذ

يتحول إلى سعي إلى ألقاب ورتب ومناصب، بل وحتى النمو نفسه أصبح نمواً وظيفياً لا علمياً...

تلك الأشياء البرّاقة التي توضع أمام العمل لا تتيح فرصة كبيرة أمام العلم ليزدهر من أجل نفسه فقط. أصبح من النادر أن يسعى الناس إلى المعرفة من أجل المعرفة. أصبحت تلك الأشياء البرّاقة هي الغاية وهي السيد. وأصبح العلم خادماً لها.. والعلم متى ما أصبح خادماً لما هو أدنى منه مرتبة مات، ومتى مات العلم في عقل معلّم توقف المعلم عن النمو.

الزوجة هل معنى ذلك أنك تطالب الزمن والتطور بالتوقف ليعود

المعلم كما كان أيام ما قبل التاريخ!؟

الفيلسوف (يتنهد) لا طبعاً ولكني أستطيع أن أعود وحدي...

ويسرني أن لي من الحرية ما يغنيني عن قبول القيود.

الزوجة الحرية، الحرية! لقد مللت هذه الكلمة! لماذا تعشق الحرية

إلى هذا الحد؟

الفيلسوف لا أعلم.. (يفكر) ربما كانت الخنفساء هي السبب!

الزوجة الخنفساء؟ أية خنفساء؟

الفيلسوف عندما كنت في العاشرة من عمري جلست في الحديقة

أراقب طفلاً صغيراً في الرابعة من عمره وهو يلعب

بالطين. فجأة شاهد هذا الطفل خنفساء جريحة يهاجمها

عدد كبير من النمل الكبير الحجم فأخذها في الحال

وخلصها من النمل وبنى لها بيتاً جميلاً من الطين

والحصى على كومة من الطين بعيداً عن النمل ووضعها فيه... ولكنها خرجت ببطء واتجهت إلى منطقة النمل من جديد، فأعادها إلى البيت فخرجت وأخذت تفعل ذلك مراراً حتى يئس الطفل من بقائها في البيت الذي بناه لها فما كان منه إلا أن ضربها بحجر صغير فقتلها ثم وضعها في البيت، ولما رآها مستقرة فيه ابتسم ابتسامة مشرقة وقال لي بسرور: "الآن أصبحت الخنفساء في أمان!"

فكّرت كثيراً في الخنفساء وأعجبت بحبها للحرية الذي أدّى إلى قتلها... وجعلني ذلك أنظر إلى الحرية بشكل مختلف.

ولكنها كانت غبية! كيف تترك البيت الجميل وتتجه إلى النمل الذي يهاجمها؟

ربما لم تشأ أن يفرض عليها الطفل إرادته. ولكنه أحسن فعلاً عندما قتلها، يبقى الإنسان أكثر حكمة من غيره من المخلوقات وإن كان طفلاً.

هل قتل الخنفساء المسكينة حسن تصرف في نظرك؟ نعم. لا بد أن ذلك أراحها من تعذيب النمل الذي كان يريد أكلها حيّة.. ولكن دعنا من قصة الخنفساء ولنكمل قصة هذه النفاخة.

حسناً... ماذا كنت أقول.

الزوجة

الفيلسوف

الزوجة

الفيلسوف

الزوجة

الفيلسوف

الزوجة (تتنهد بصبر يكاد ينفد) قلت إنك تريد أن تنمو... على ما أذكر.

الفيلسوف نعم.. نعم.. صحيح.

الزوجة والطلاب... ألا تريد تنميتهم؟

الفيلسوف ليس الآن... لا أستطيع أن أعلم الناس وأنا ما زلت أنمو.

الزوجة ومتى ستتوقف عن النمو؟

الفيلسوف لا أعلم! فكر الإنسان ينمو إلى آخر يوم في حياته.

الزوجة لا بد أنك ستنشئ مدرسة في قبرك! (تلقت إليه) لماذا

إذن حصلت على أكبر "نفاخة"؟

الفيلسوف تعنين الدكتوراه؟ ولكنها ليست أكبر نفاخة.

الزوجة ما هي أكبر نفاخة إذاً؟

الفيلسوف لا يوجد حجم محدد لها، لذلك فأنا ما زلت أنفخ فيها.

الزوجة يبدو أنك ستنفخ فيها حتى تنفجر في وجهك!

الفيلسوف لا، لن يحدث هذا أبداً لأنها مختلفة عن هذه النفاخة.

الزوجة (بغیظ) ولكن لماذا اشتریت هذه النفاخة؟ ما علاقتها

بالموضوع؟

الفيلسوف لدى عودتي، رأيت نفاخات مربوطة أمام باب المتجر

المجاور لمنزلنا فتذكرت الفيلسوف القديم وتذكرت اليوم

الذي قررت فيه أن أمتلك نفاخة واحدة أضع فيها كل

جهدي وأجعلها أكبر نفاخة أستطيع حملها وكيف أثر ذلك

القرار في حياتي وقادني إلى الرضى عن نفسي وإلى

النجاح (مبتسماً) فاشترت هذه النفاخة الصغيرة احتفالاً
بذكره وتخليداً له.

الزوجة (تقف غاضبة) ما أسخف قصصك وأسبابك! وما أغبى
هذه الفكرة! كل إنسان يحمل نفاخة! تخيل منظر الناس
في الشارع وبيد كل منهم نفاخة!

ينظر الفيلسوف إلى زوجته باستياء وعتب.

الفيلسوف (بتأثر) إنك لا تشاركيني شيئاً على الإطلاق، ولا
تدركين أهمية بعض الأشياء الصغيرة في حياتي.
الزوجة حسناً. لا تحزن سأشاركك هذه اللحظة. انتظري قليلاً.

تخرج الزوجة من الغرفة.

يبدو الأستغراب على الفيلسوف قليلاً ثم يعود إلى تأمل نفاخته.
تعود الزوجة بعد قليل ويدها نفاخة زرقاء وتجلس على المقعد الخشبي
بجوار زوجها واضعةً ساقها على المنضدة وهي تتأمل النفاخة التي
تمسك بخيطها مثل زوجها.

الزوجة (بلهجةٍ ساخرة) لا تتهمني بأني لا أشاركك اهتماماتك
ثانية.

يلتفت الفيلسوف إلى زوجته باستغراب ثم ينظر إلى النفاخة.
تعود الزوجة إلى النظر إلى نفاختها.

- الزوجة أشعر أن منظرنا سخيّف. ليت البائع لم يربط النفاخات أمام باب متجره.
- الفيلسوف ولكن ذلك أسعدني.
- الزوجة وأخرجني.
- الفيلسوف ألا تحبين النفاخات؟
- الزوجة توقفت عن حبها منذ أكثر من ثلاثين عاماً!
- الفيلسوف ولكنني لم أتوقف عن حبها.
- الزوجة طبعاً لأنها تعني لك شيئاً مختلفاً حسب روايتك التي أتحدثني بها منذ قليل.. أو ربما زادت حدة النسيان لديك
- الفيلسوف فنسيت أن طفولتك انتهت في الأزمان الغابرة!
- الفيلسوف لديّ سبب آخر.
- الزوجة (تتنهد بملل) رواية أخرى!
- الفيلسوف لا، ولكن قد يكون داخلي طفل حافي القدمين يركض بنفاخة ملونة.
- الزوجة لو كنت أم هذا الطفل لضربته.
- الفيلسوف (مستغرباً) لماذا؟
- الزوجة لأنه يجري حافي القدمين.
- الفيلسوف ولكنه طفل وهمي.
- الزوجة كان عليه أن يرتدي حذاءً وهمياً إذًا.
- الفيلسوف لماذا؟
- الزوجة لكي لا يدوس مسماراً وهمياً.
- الفيلسوف ولكنه لا يركض في موقع بناء بل في حديقة غناء.

الزوجة تنذرت! لقد كنت ابن عائلة ثرية. من الطبيعي أن لا تلهو
 إلا في الحدايق الغناء!
 الفيلسوف الطفل الذي أتحدث عنه قد لا يمثلني في طفولتي.
 الزوجة بل إنه أنت بذاتك فرثاثة هيئته تدل عليك.
 الفيلسوف من قال لك إنه رث الهيئة؟
 الزوجة أنت! ألم تقل إنه حافي القدمين.

يتنهد الفيلسوف ويصرف نظره إلى النفاخة.

الفيلسوف (يلتفت إلى زوجته ثانية) وأنت، هل بداخلك طفلة؟
 الزوجة لا أعلم (تلتفت إليه) ولكن إن كانت بداخلي طفلة فلا بد
 أن تكون طفلة مرتبة عليها حذاء.
 الفيلسوف هل الحذاء ضروري؟
 الزوجة طبعاً! فنحن أبناء الأسر الفقيرة لم تكن في بيوتنا حدائق
 غناء نلعب فيها.
 الفيلسوف أين كنتم تلعبون إذا؟

الزوجة كنا نلعب أمام منازلنا.. ونحلم بامتلاك حدائق جميلة بها
 مراجيح ولعب كثيرة وأشياء مسلية مثل جيراننا الأغنياء.
 الفيلسوف لذلك تكبرون وفي رؤوسكم أشياء مادية بدلاً من علامات
 الاستفهام.

الزوجة أليس ذلك أفضل من علامات الاستفهام؟
 الفيلسوف لا، لأن علامات الاستفهام تقود إلى المعرفة.

- الزوجة
لكن الأشياء المادية تصبح حقيقة في بعض الأحيان أما
علامات الاستفهام فتظل علامات استفهام.
- الفيلسوف
ولكن الكثير منها يختفي عندما تجاب بعض الأسئلة،
وتلك متعة..
- الزوجة
ولكنها أيضاً تتكاثر وتتضاعف، لذلك فوضع الأشياء
المادية في الرأس أضمن... (تتنهد) مع أنه أيضاً كثيراً
ما تظل تلك الأشياء أوهاماً.
- الفيلسوف
ألم تتحول أحلامك إلى واقع؟
- الزوجة
عندما سكنا قرب منزلكم كنت أظن أن زواجي بك
سيحقق أحلامي ولكنه لم يفعل.
- الفيلسوف
ولكن أصبح لديك حديقة منزلية.
- الزوجة
(بألم) وظل ينقصني الكثير.
- الفيلسوف
لأنك توقعت أن تعيش حياة مختلفة تماماً باقترانك بزوج
ثري...
- الزوجة
(تتنهد) لم أكن أعلم أن الفقر طبع في الناس.. كنت أعتقد
أن كل من يملك المال يعيش عيشة مرفهة.
- الفيلسوف
وبدأت محاولة تغييره.
- الزوجة
ولكنها انتهت سريعاً لأنني أدركت ماهيتك.
- الفيلسوف
فبدأت مرحلة الرغبة في وراثة أمواله (يتأمل النفاخة)
هذه الرغبة ينبثق أساسها من طبقتك الثانية لأن جذورها
تكونت في طفولتك عندما كنت تقفين خارج منازل
الأغنياء وتتأملين لعب أطفالهم وحدائقهم.

الزوجة
تبتسم وهي تتأمل النفاخة) ولكن، على الرغم من ذلك
فقد نشأت نشأة طبيعية وقضيت طفولتي كما يجب لذلك
فليس بداخلي طفلة. لم يحدث لي ما يحدث لكم.

الفيلسوف
ما الذي يحدث لنا؟

الزوجة
لو كنت إنساناً سويماً لما بقي ذلك الطفل داخلك.

الفيلسوف
وماذا في ذلك؟ إن ذلك الطفل فيلسوفٌ صغير.

الزوجة
بالطبع! الفراع الذي يعيش فيه أبناء الأغنياء يحولهم إلى
فلاسفة.

الفيلسوف
ولكن الكثير من الفلاسفة فقراء.

الزوجة
(تتنهد) الفراغ المادي أيضاً يدفع إلى التفكير في أحوال
الدنيا.

الفيلسوف
لماذا ترين المادة محوراً لكل شيء؟ (ساهماً) نجلس
الجلسة نفسها في مكان واحد ونشتري نفاختين لهما اللون
ذاته ومن بائع واحد ونحملها في الوقت نفسه ولكن تظل
بيننا مسافات شاسعة.

الزوجة
لأن وجود أشياء متشابهة في أيدي الناس لا يعني أن
نفوسهم متشابهة. ولأنك رسمت لك حياة خاصة لم تترك
فيها مكاناً لشخص آخر فأصبحت تعيش لنفسك فقط..
لماذا تزوجت؟ لماذا تزوجتني؟

الفيلسوف
لا أعلم.. أعتقد أنني خطبتك قبيل أن أقرر حمل نفاخة
واحدة فلم أجد بداً من إتمام المسألة بعد ذلك.

الزوجة
(غاضبةً) ليتك وجدت بداً!

الفيلسوف
الزوجة

لماذا؟

كنت أظن أنك اخترتني زوجة لأنك أحببتني أو لأنك رأيت بي ميزة خاصة كما رأيت بك ميزة خاصة، ولكني وجدت أنني كنت مخطئة في ظني وأنت لم تتزوجني إلا كما يضع الإنسان قلماً في جيبه بعد أن يرتدي جميع ملابسه، ليكتمل هندامه.

الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف

ولكن للقلم أهمية كبيرة.

نعم، ولكن ليس عند من يستخدم الآلة الكاتبة في الكتابة. ولماذا أنت مستاءة؟ أنت أيضاً لم تحببيني لذاتي. كانت ميزتي الخاصة في نظرك ثرائي فحسب.

الزوجة

لا أنكر أنني أحببتك من أجل ثروتك.. ولكن كان يجب أن تقدر ذلك، أليست ثروتك جزءاً منك؟ أما أنت فلم تُحِببني لا لذاتي ولا من أجل شيء آخر. بل إنني اكتشفت مبكراً أن كل شيء في حياتك أهم مني بكثير؛ حريتك وفكرك وكتبك وكل شيء.. كنت قد نويت أن أقبل تطفلك على حياتي من أجل ثروتك، ولكنني لم أجد ثروتك ولم أجد أثراً لتطفلك، بل إنني لم أجد أثراً يذكر لوجودك في حياتي.. (تتنهد) يقال في بعض الأمثال الشعبية إن من يأخذ القرد من أجل ماله، يذهب المال عنه ويبقى له القرد على حاله... ولكن هذا المثل لا ينطبق عليّ فأنا لم أحصل لا على المال ولا على القرد!

الفيلسوف

أما أنا فقد كان لدي المال ولم يكن ينقصني إلا القرد. أي أن توقعاتي من الدنيا كانت محدودة، لذلك لم أصدم كثيراً عندما لم يأت القرد كما أردته تماماً، بينما أصبت أنتِ بصدمة كبيرة لأنك لم تعلمي أن الدنيا لا تدفع الأموال والقروء معاً دائماً مقابل التنازل عن النفس، وأنها كثيراً ما تماطل في دفع الثمن المتوقع منها وتجعل الإنسان أحياناً يتنازل عن نفسه بلا مقابل على الإطلاق، لأنها لا تحترم الصفقات وتبخل حتى بالقروء!

الزوجة

نعم، تعلمت كل ذلك في مرحلة مبكرة من زواجنا. على كل حال، عندما لاحظت اهتمامك بكل شيء دوني كرهت الحياة معك وكرهت كل الأشياء التي تهتم بها وقررت أن تكون لي اهتماماتي الخاصة أنا أيضاً.

الفيلسوف

ممتاز! يسعدني أن تكون لك اهتمامات خاصة. قد يجعلك ذلك تكفين عن مضايقتي والسخرية مني.

الزوجة

ولكن اهتماماتي لا تتعدى مضايقتك والسخرية منك يا زوجي العزيز! اتخذت تلك اهتمامات لأنني لم أجد غير هذه الوسيلة لجعل حياتي معك محتملة.

الفيلسوف

كيف يجعل تعذيبي حياتك محتملة؟

الزوجة

عندما أضايقتك، أشعر بالشفقة عليك فيما بعد وهذه الشفقة تجعلني أغفر لك أشياء كثيرة ومن ثم احتمل المعيشة معك.

الفيلسوف غريب جداً! أظن أنني أستخدم الأسلوب نفسه دون أن أشعر!

الزوجة كيف؟

الفيلسوف حرمانى إياك من التمتع بالمعيشة المرفهة وفرضى عليك ذوقى الخاص فى المستوى المادى الذى أعيش فيه طواعية، يجعلنى أشعر بالشفقة عليك وذلك يجعلنى أغفر لك معاملتك السيئة ومن ثم أحتمل الحياة معك.

الزوجة (ساخرة) رائع! يسرنى أن شعورنا متبادل.

الفيلسوف نعم. (متلطفاً) لم أشفق على أحدٍ فى حياتى كما أشفق عليك.

الزوجة وأنا أبادلك الشفقة نفسها!

الفيلسوف يسعدنى أن بيننا شفقة متبادلة.

تدخل وردة إلى الغرفة فترى الزوجين وبأيديهما النفاختان.

وردة (وهى تحاول جاهدة كتم ضحكتها) سيدتى، العشاء جاهز

هل أعد السفرة الآن؟

الزوجة (تلقت إلى وردة) لا، إننا فى حالة شفقة! أعديها فيما

بعد.

وردة حسناً يا سيدتى.

تنتطق وردة إلى المطبخ وهى تحاول منع نفسها من الضحك.

الزوجة شفقة متبادلة! شيء مقزز!

الفيلسوف ليست الشفقة شيئاً مقززاً! إنها من أنبل العواطف الإنسانية.

الزوجة ولكن عندما تكون الشفقة هي العاطفة الوحيدة في الأسرة فإنها لا تكون كذلك!

الفيلسوف (يتنهد) لقد عشنا معاً مدة طويلة جداً وكان ينبغي أن نكون أكثر انسجاماً، ولكننا بدلاً من ذلك نختلف في كل شيء بل نكاد لا نتفق على شيء (يلتفت إلى زوجته) لماذا لا نتفق على شيء؟

الزوجة اتفقنا على أن الطفل داخلك كان حافي القدمين؟
الفيلسوف ولكنك أردت ضربه.

الزوجة بل إنني أتمنى قتله لأن وجوده غير طبيعي.

الفيلسوف ربما وجد لأنني لم أعش طفولتي كما يجب.

الزوجة أنت! لماذا؟

الفيلسوف لقد كنت في المدرسة طفلاً مهذباً وضعيفاً وسط أطفال أقوىاء وشرسين. كنت أحذرهم وأتجنبهم... وقد كنت أظن أن أخلاقي الحسنة هي التي كانت تتقذني من شراستهم، ولكنني اكتشفت أنهم كانوا يتركونني وشأني خوفاً من سائقنا الضخم الذي ينتظرني بباب المدرسة في سيارتنا الكبيرة.

الزوجة رأيت ميزة الثراء.

الفيلسوف ولكن ثرائي جعلني أيضاً أشعر أنني لست إنساناً حقيقياً.

الزوجة هل كنت وهمياً مثل الصبي الحافي القدمين داخلك.

الفيلسوف

لا، ولكنني شعرت أنني لم أكن حقيقياً لأنه لم تتح لي فرصة أن أرى مقدرتي على الدفاع عن نفسي ولم تتح لي فرصة معرفة مكانتي الحقيقية عند أصدقائي.. شككت في كوني إنسان حقيقي لأنني لم أمر بالظروف التي مرّ بها بقية الأولاد. كثيراً ما كنت أراقب الأطفال وهم يتسلقون أسوار المدرسة ويتعاركون شاعراً أن ما يفعلونه هو السلوك الحقيقي للصبيان، وأنهم صبيان حقيقيون أما أنا بسلوكي المهذب وحذائي اللامع فلم أكن سوى صورة وهمية لما كان الكبار يريدون أن يكون عليه الصغار... (يحدق أمامه ويبتسم) ولكن، أعتزف أنه كان لذلك ميزته.

الزوجة

(باستغراب واستهجان) ما ميزة أن تكون وهماً؟

الفيلسوف

شعوري أنني لم أكن حقيقياً جعلني أشك في وجودي ووجود العالم من حولي.

الزوجة

ألم يكن ذلك جنوناً؟

الفيلسوف

كنت أظنه جنوناً ولا أبوح به لأحد، ولكنني عندما كبرت علمت أنه نواة الفلسفة.. طبعاً بعد أن أثبتت لنفسي أنني موجود وحقيقي.

الزوجة

نعم، إنك موجود ولكني لا أظن أنك إنسان حقيقي.

الفيلسوف

(يعدل نظارته وينظر إليها مستغرباً) لماذا؟

الزوجة

الإنسان الحقيقي لا يشتري لنفسه نفخة بعد سن الثانية عشرة.

الفيلسوف ولكنك اشتريت لنفسك نفاخة مع أنك لم تثبتي لنفسك أنك إنسانة حقيقية.

الزوجة ولماذا أثبتت لنفسي شيئاً أنا متأكدة منه؟!
الفيلسوف لا يركز العلم على أساس متين إلاّ بنفض معلوماتنا السابقة وغربلتها وإثبات صحتها.

الزوجة ولماذا "النفص والغريبة"؟ إن علم الإنسان بوجوده يولد معه وكذلك الدليل على وجوده ولا يحتاج الأمر إلى..
"غريبة". عندما يولد الطفل فيبكي فذلك يدل على أنه شعر بوجوده وأثبت لنفسه أنه موجود في آن واحد!

الفيلسوف ولكن الإنسان ينسى تلك اللحظة لذلك يتعين عليه أن يتفحص خبراته السابقة ويثبت صحتها... وغالباً ما تبدأ المعرفة بإثبات وجوده هو وحقيقة هذا الوجود.. كيف تتأكدين من حقيقة الأشياء من حولك قبل أن تثبتي لنفسك أنك موجودة وحقيقية.

الزوجة (بغیظ) حسناً! سأثبت نفسي حالاً أنني موجودة وحقيقية.

تقوم من مكانها وتذهب إلى المطبخ.
بعد قليل يأتي صوت فرقة النفاخة من الداخل ثم تخرج الزوجة ويدها سكين كبيرة.

الزوجة هل سمعت شيئاً؟

الفيلسوف نعم.

الزوجة كان ذلك صوت الحقيقة (تقترب منه والسكين في يدها
موجهة إليه) والآن سأحوك إلى إنسان حقيقي.
الفيلسوف (مدعوراً) ماذا ستفعلين؟

تختطف الزوجة النفاخة من يد زوجها وتفرعها بالسكين.

الفيلسوف (بألم) لماذا تغتالين كل شيء جميل؟
الزوجة ألا تريد أن تكون إنساناً حقيقياً؟
الفيلسوف ولكني أثبتُّ لنفسي أنني حقيقي منذ أمد بعيد.
الزوجة (ضاحكة) ولم يثبت لي ذلك إلا الآن.
الفيلسوف (ينظر إلى زوجته مستغرباً) لماذا أسعدتك فرقة النفاخة
كثيراً؟

الزوجة لأنني انتقم منك! فرقت ذكرياتك القديمة كما تفرقت
أحلامي القديمة بعد زواجي بك!
الفيلسوف (مستاءً) ستندمين على ذلك وتشفقين عليّ كثيراً فيما بعد.
الزوجة وسيمنحني ذلك القدرة على احتمالك يوماً آخر! (تركّز
بصرها عليه) لولا بصيص الأمل في أنك قد تتغير لكان
مصيرك كمصير نفاختك.

تلقي الزوجة بقايا النفاخة في سلة المهملات ثم تعود إلى المطبخ.
يحقق الفيلسوف في سلة المهملات وكأنه يخاطبها بعينه.

ستار

الأمسية الرابعة

بعد سنة

ينفتح الباب المؤدي إلى الخارج ويدخل منه الفيلسوف ورأسه ملفوف بضمادة وإحدى يديه جريدة منهمك في قراءتها وهو ممسك في يده بكيس صغير وقفص فيه طائر. يدخل ببطء ويجلس على كرسيه أمام النافذة واضعاً القفص والكيس على المقعد الذي بجواره ويواصل قراءة الجريدة.

تدخل الزوجة وتقترب من القفص باستغراب.

الزوجة ما هذا؟

الفيلسوف (ينظر إليها ثم إلى القفص حيث أشارت ثم يفكر) هذا.. هذه ببغاء.

الزوجة إنها ليست ببغاء؛ إنها حمامة.

الفيلسوف ولكن البائع قال لي إنها ببغاء.

الزوجة إنها حمامة، ولكن لماذا اشتريتها؟ لم أعهدك محباً للطيور.

الفيلسوف لا أحب الطيور كثيراً ولكن البائع لاحقني بها مدة طويلة ولم يتركني إلا عندما اشتريتها.

الزوجة (تتنهد بضيق) لماذا تترك الناس يخدعوك دائماً؟ لو كنت مكانك لما تركت البائع يخدعني ويبييعني شيئاً لا أريده.

الفيلسوف

إنه لم يخدعني ولكنني اشتريت وقتي منه قبل أن أشتري هذه الببغاء إذ أنه لم يدعني وشأني إلا عندما اشتريتها.. أذكر أنني هربت منه فعلاً ودسست نفسي بين جمع غير من الناس ولكنني شعرت أن ذراعي ثقل فجأة وشعرت بتصلب في أصابعي فرفعت يدي لأرى ماذا حدث لها فإذا بها ممسكة بهذا القفص وإذا بالرجل خلفي يطالب بثمان الببغاء. لقد كان الموقف محرراً، قلت لنفسي إن تركت القفص فسيظن الناس أنني كنت أنوي سرقة...

الزوجة

(ساخرة) ولكنك تقول إن رأي الناس لا يهمك.

الفيلسوف

(بحزم وهو يرفع سبابته) إلا فيما يتعلق بالأخلاق.

الزوجة

أمم.. (بلا مبالاة) ثم ماذا حدث بعد أن خفت أن يظنك الناس سارقاً؟

الفيلسوف

لم أجد بداً من أن أخرج ما استطعت الوصول إليه من النقود من جيبي وأدفعها للبائع وأخرج من الزحام بأقصى سرعة، ثم ركبت سيارة أجرة بسرعة هرباً من البائع الذي كان ما يزال يتبعني.

الزوجة

(مستتكرة) ما استطعت الوصول إليه من النقود؟!!!

الفيلسوف

نعم، أنت تعلمين أن النقود لا تعني الكثير عندي.

الزوجة

(تتنهد متحسرة) نعم، ما دامت ستصرف خارج هذا البيت! ولكن كيف تقول إن الفلاسفة أذكاء بينما من تفهم بالبساطة الفكرية يتمكنون من خداعهم بسهولة.

الفيلسوف قلت لك إنه لم يخدعني، لو قاومته لما تمكن من بيعي إياها.

الزوجة ولكنه في النهاية حقق غرضه وباعك ما يريد على غير رغبتك فمن هو الذكي فيكما؟

الفيلسوف أظن أن كل إنسان مزود بنوع من الذكاء الذي يستهويه وله القدرة على تحقيق النتائج التي يريدها؛ هو يريد نقوداً أياً كان نوعها فيأخذها بوسائله الخاصة وأنا أريد فكراً فأشتريه بتتقية الطريق إليه من كل المعوقات وإن اضطررت إلى تقبل أشياء كثيرة.

الزوجة مثل ابتزاز الباعة المخادعين!

الفيلسوف نعم... الابتزاز وسيلة المخادعين... عندما تكون الغاية متدنية فلا بد من أن تكون الوسيلة متدنية.

الزوجة ولكن أين كنت؟ في معرض الحيوانات؟

الفيلسوف نعم.

الزوجة لماذا؟

الفيلسوف تذكرت أنك كلفتني بشيء ولكني نسيت ما هو، وحاولت تذكره وفي غمرة تفكيري وجدت نفسي هناك.

الزوجة تذكرت الآن.. لقد طلبت إليك أن تحضر ثوبي من محل التنظيف الجاف. (غاضبة) كيف تنسى شيئاً هاماً كهذا؟

الفيلسوف أريد الثوب اليوم لأرتديه غداً صباحاً! سأحضره لك غداً في الصباح الباكر.

الزوجة لا! لن أعتد عليك في إحضاره. أعطني وصل الاستلام
لأحضره أنا.

الفيلسوف (يدخل يده في جيبه ويناولها ورقة) تفضلي.
الزوجة هذه ورقة مالية! أريد الوصل.

يدخل الفيلسوف يده في جيبه مرة ثانية.

الزوجة (بضجر) إسمع، أعلم أنك ستخرج من جيبيك أشياء
غريبة في كل مرة، لذلك، توفيراً للوقت أخرج كل
الأشياء التي في جيوبك وأنا سأبحث عنه بنفسي.

الفيلسوف حسناً. (يدخل يديه في جيوبه ويخرج ما فيها من مناديل
ومفاتيح وأوراق) ويضعها على المنضدة أمامه.

الزوجة ما كل هذه المناديل؟ أنت لست بحاجة إلى ثلاثة مناديل.

الفيلسوف أنا أضعها في جيوبي لتذكركي بالأشياء التي أريد
تذكرها، الأزرق يذكرني بموعد زيارة الشركات
الشهري والأخضر يذكرني بموعد الاطمئنان على
المزرعة.. على ما أظن.

الزوجة والأبيض، بماذا يذكرك؟

الفيلسوف (ينظر إليه حائراً) لقد نسيت!

الزوجة (بعنف) هذا لأن المناديل لم تصنع لتذكير الناس بالأشياء
وإنما لتستخدم كمناديل فحسب!

الفيلسوف (بسرور) نعم، نعم، تذكرت! إنني استخدم المنديل
الأبيض كمنديل.

تبحث الزوجة بأطراف أصابعها بين الأشياء التي وضعها على المنضدة.

الزوجة (وهي تبحث) قصاصات، وصفات طبية، مواعيد فائتة! أين الوصل؟

تبحث ثانية بقلق ثم تبدو عليها الحيرة وتلقت إلى زوجها.

الزوجة أين الوصل؟ لم أجده بين هذه الأشياء.

الفيلسوف هذا كل ما في جيوبي.

الزوجة لقد كان الوصل معك.

الفيلسوف لو علقتني من قدمي لما أسقطت الجاذبية الأرضية من جيوبي شيئاً آخر.

الزوجة (غاضبة) ولكني أعطيتك الوصل هذا الصباح وأخذته مني ووضعته في أحد جيوبك.

يتنهد الفيلسوف ويبحث في جيوبه ثانية فلا يجد شيئاً.

الفيلسوف (فجأة) آه، فهمت! أظن.. (يسكت فجأة).

الزوجة ماذا تظن؟

الفيلسوف (وهو يبتسم ويرفع الجريدة كمن يردي أن يقرأ) عرفت الآن لماذا كان البائع يطاردني حتى بعد أن اشتريت الببغاء؛ أظن أنني اشتريتها بوصلك!

الزوجة (ثائرة) ماذا فعلت؟ لماذا لا تنظر إلى الأشياء قبل إعطائها الناس؟ كيف تشتري ببغاء بثوبي الأخضر الجميل؟ (تلتفت إلى القفص) وليتها كانت ببغاء حقيقية! الفيلسوف اطمئني لن يأخذ البائع ثوباً نساءياً.

الزوجة بل سيأخذه!

الفيلسوف لماذا؟ ماذا يفعل به؟

الزوجة (بصوت عالٍ وتهكم وهي تتجه إلى الداخل) يشتري به بقرة ليبيعهها على مغفلٍ آخر مقابل خزانة ملابس ثم يبيعهها على مغفل ثالث مقابل..

الفيلسوف إلى أين أنت ذاهبة؟

الزوجة سأتصل بالمحل لأطمئن على ثوبي. (تنظر إلى ساعتها فتعود) لا فائدة فقد أغلق المحل الآن، سأنتظر إلى الصباح ثم أذهب إلى هناك.

تجلس الزوجة على الأريكة وتتنهد وقد بدا عليها الضيق الشديد.

الفيلسوف كل هذا من أجل ثوب أزرق!

الزوجة كل هذا من أجل ثوب أخضر!

الفيلسوف كل هذا بسبب الببغاء.

الزوجة كل هذا بسبب الحمامة!

الفيلسوف ولكنها ببغاء.

الزوجة إنها حمامة، لقد خدعك البائع مرتين.

الفيلسوف لقد أقسم لي البائع أنها تتكلم.

تحمل الزوجة القفص وتضعه بجانبها على الأريكة وتتأمل الطائر
بتمعن ثم تنظر إلى زوجها.

- الزوجة لن تتكلم هذه إلا إذا طرت أنت.
الفيلسوف لماذا؟
- الزوجة لأنها حمامة وليست ببغاء.
الفيلسوف ما دليلك على أنها حمامة؟
- الزوجة (باستغراب) وما دليلك على أنها ببغاء؟
الفيلسوف ليس لدي دليل غير أن بائعها أكد لي ذلك.
- الزوجة (بغیظ) وأنت.. أليس لك عينان؟
الفيلسوف وهل كنت ألبس نظارة لو لم تكن لي عينان!
- الزوجة لو كان لك عينان خلف هذه النظارة وعقل خلف هاتين
العينين لما ظننت أن هذه ببغاء.
- الفيلسوف لماذا تصرين على أنها حمامة؟ هل لديك إثبات؟
الزوجة نعم، أولاً لونها أبيض مرقش بدرجات من البني وأنا لم
أر في حياتي ببغاء لها هذه الألوان...
- الفيلسوف ما أكثر الأشياء التي توجد في العالم من قبل أن نولد
فنولد ونموت ونحن لها جاهلون.
- الزوجة ومنقارها ليس معقوفاً مثل منقار الببغاء. إنه مستقيم.
الفيلسوف ربما كانت مصابة بتشوّه خلقي.
- الزوجة وهي لا تتكلم.
الفيلسوف ربما كانت خجلى في أيامها الأولى بيننا.

الزوجة إذا كنت حقاً تعتقد أن هذه ببغاء فقد حان موعد أخذك إلى
مصحة عقلية.

الفيلسوف ولكن لم تثبتي لي أنها ليست ببغاء.
الزوجة لقد قدمت لك إثباتات كثيرة ولكنك لا تصدق إلا ما تريد
تصديقه ولو كان خطأ.

الفيلسوف في بعض الأحيان تكون الأحكام نسبية ولا توجد أخطاء
مطلقة فما يبدو خطأً في أعيننا قد يكون عين الصواب
في أعين غيرنا.

الزوجة ولكن هذا الطائر حمامة ومن المستحيل أن يكون غير
ذلك.

الفيلسوف هذه المقولة خاصة بك أنت، أي أنه من وجهة نظرك
حمامة وليس نوعاً آخر من الطيور ولكن هذا لا يعني أن
كل الناس يرونه كذلك.

الزوجة إذن ما اسم الشيء الذي وضعت بداخله الحمامة.

الفيلسوف أية حمامة؟

الزوجة (بصبر متكلف) أعني ما اسم الشيء الذي وضعت
بداخله الببغاء؟

الفيلسوف اسمه قفص.

الزوجة وأنا أيضاً أراه قفصاً.. وما اسم الشيء الذي تقرأه؟

الفيلسوف جريدة.

الزوجة رائع! إذن توجد أشياء كثيرة يتفق الناس على ماهيتها.

الفيلسوف نعم هناك ما لاحصر له من الأشياء التي لها مسميات مشتركة عند الناس.

الزوجة نعم، ومن ضمن هذه الأشياء هذه الحمامة.

الفيلسوف ولكن يقال إن هذه ببغاء.

الزوجة لا يوجد من يراها ببغاء في هذا العالم إلا أنت.

الفيلسوف والبائع أيضاً يراها ببغاء وربما كان كثير من الناس يشاركونه الرأي.

الزوجة حتى البائع يعلم أنها حمامة ولكنه أراد خداعك وسأثبت لك في الحال.

تتجه إلى الباب المؤدي إلى الداخل وتنادي الخادمة.

الزوجة : وردة.. وردة.

وردة : (تدخل) نعم يا سيدتي.

الزوجة : تعالي، أريد أن أسألك سؤالاً صغيراً. (تعود إلى القفص ووردة تتبعها) أنظري. ماذا ترين في هذا القفص؟

وردة : حمامة.

الزوجة : (تبتسم بانتصار وتلقت إلى زوجها) رأيت؟

الفيلسوف : هل ترين أن هذا الطائر حمامة يا.. يا.. زهرة؟

الزوجة : إسمها وردة!

وردة : (بحرج) لا.. لا يا سيدي.. إنه.. إنه.. غراب؟

الزوجة : (ثائرة) وردة! هل فقدت بصرك فجأة أم قدرتك على التمييز؟

- الفيلسوف
وردة
(متفكراً) غراب أبيض مرقش بالبني!
(تنظر إلى الزوجين بحيرة وارتباك) بصراحة أنا لا أفهم
في الطيور.
الفيلسوف
وردة اسمه..
الزوجة
سيقول لك إن هذا الطائر ببغاء ولكنه حمامة وأنت
تعلمين ذلك جيداً وقد أقررت بذلك في البداية ولكنك
غيرت قولك فجأة في ظروف غامضة!
وردة
(مرتبكة) لقد تركت الطعام في الفرن وقد يحترق إذا لم
أذهب إليه الآن يا سيدتي.
الزوجة
إذهبي إذاً.. (وهي تجلس ثانية على الأريكة) مع أن
احترق الطعام ليس أحد الظروف الغامضة التي عنيت..
(تنظر إلى القفص) هل أحضرت لها طعاماً؟
الفيلسوف
الزوجة
(وهو يقرأ جريدته) لمن؟
للحمامة.
الفيلسوف
الزوجة
أية حمامة؟
أعني التي تراها ببغاء.
الفيلسوف
(يرفع عينيه إلى القفص) تعنين هذه الببغاء.. (يتلقت
حوله) نعم، يخيل إليّ فيما يشبه اللحم أني أحضرت لها
حبوباً (بسرور وهو يلتقط كيس الحبوب) نعم! لقد فعلت
(يناولها الكيس).

الزوجة (تنظر داخل الكيس) ولكنه يخيل إليّ فيما يشبه الحلم أنه طعام ببيغاء.

الفيلسوف وماذا تريدني أن أشتري لبيغاء؟

الزوجة طعام حمامة! لأن هذه البيغاء لن تأكل هذه الحبوب.

الفيلسوف لماذا؟

الزوجة لأنها.. لأنها ترى نفسها حمامة.

الفيلسوف رأيها في نفسها لا يهم، ما يهم هو أن تأكل الغذاء الذي يناسبها.

الزوجة ولكن هذه الحبوب لا تناسبها لأنها تحتاج إلى تقشير ولا

يؤدي ذلك إلا منقار ببيغاء متمرس وهذه – كما قد علمت

– مصابة بنشوه خلقيّ يمنعها من ذلك.

الفيلسوف ماذا نعمل إذن لننقذ هذه المسكينة من الجوع؟

الزوجة إشتري لها طعام حمامة لأنه يناسب منقارها أكثر من هذه

الحبوب.

الفيلسوف حسناً (يعود إلى القراءة).

الزوجة (فجأة) لديّ حل أفضل.

يضع الفيلسوف الجريدة جانباً وينظر إلى زوجته.

الزوجة فلنطلقها ونتركها تأكل ما تشاء.

الفيلسوف لا، قال البائع إنها من فصيلة نادرة.

الزوجة ولكن كيف نحبس مخلوقاً لا تسعده إلا الحرية..

الفيلسوف هل قالت لك البيغاء ذلك؟

الزوجة لا ولكن كلنا نعلم أن الطيور تحب الحرية؛ ألم تتخذ رمزاً للحرية؟

الفيلسوف اتخذت رمزاً للحرية فقط لأنها تستطيع التحرك بأشكالٍ أكثر من الأشكال التي يتحرك بها الإنسان.

الزوجة تعني لأنها تطير؟
الفيلسوف نعم، يرى الناس أن الطيران حرية ولكنه حرية في مجال التحرك فقط، أما في باقي مجالات الحياة فحرية الطائر تعجز عن مضاهاة حرية الإنسان.

الزوجة كيف يكون الإنسان الملتصق بالأرض أكثر حرية من الطائر المحلق في الجو؟

الفيلسوف من الممكن أن يكون الإنسان حرّاً على الأرض وأسيراً في الجو.

الزوجة ولكن الطائر لا يؤسر في الجو.. إنه أكثر حرية من الإنسان.

الفيلسوف هل رأيت طائراً يملك ألا يهاجر في موسم الهجرة ويملك ألا يبيض في موسم التكاثر؟

الزوجة وماذا في ذلك؟
الفيلسوف ما في ذلك هو أن الطائر مقيد في أسلوب حياته أكثر من الإنسان فلا تغرّنك حرّيته في الحركة.. إن الإنسان بعقله يملك من الحرية ما لا يحلم الطائر بامتلاك عُشره (يمد ذراعيه مقلداً جناحيّ الطائر ويرفرف بهما وهو ينظر إلى الأعلى وعلى وجهه ابتسامة حاملة) إن الإنسان

يخلق بعقله إلى حيث لا يصل أقدر طائر على الطيران...

الزوجة كف عن هذه الرفرفة قبل أن تطير فعلاً وأخبرني عن دخل ذلك في موضوع هذه الحمامة.

الفيلسوف (باستغراب وهو يمسك الجريدة ثانية) لا أعلم! كيف بدأ الموضوع؟

الزوجة (تتنهد بضيق) اقترحتُ أن نطلق سراح الحمامة كي لا نحرّمها من حريتها.

الفيلسوف الحبس لن يحرّمها من قدر كبير من حريتها فهذا النوع من الطيور يعتاد المعيشة في أقفاص ويعتبرها منزلاً له، وستصدقين ذلك عندما تعاد رؤيتنا وتبدأ في الكلام، (مبتسماً) وسنتركها تتجول في البيت عندئذٍ.

الزوجة (صارخة) ولكنها لن تتكلم.

الفيلسوف (بهدهوء) لقد أكّد لي البائع أنها تتكلم.

الزوجة هل سمعتها تتكلم معه؟

الفيلسوف لم أسمعها ولكننا قد نسمعها حالما تتأقلم.

الزوجة (بغضب) لن نسمعها تتكلم أبداً.

الفيلسوف أنا شخصياً أفضلها خرساء لأنني لا أحب الإزعاج. (يعود إلى الجريدة).

الزوجة إنها ليست خرساء وإنما هي حمامة!

الفيلسوف لماذا تصرين على أنها حمامة؟

الزوجة لأنها كذلك، كل ما فيها يقول إنها حمامة.

الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة

إن حواسنا كثيراً ما تخدعنا وتعكس لنا الحقائق...
(بتهمك) وكلام بائع مخادع هو الحقيقة المطلقة!
لم أقل إن كلامه حقيقة مطلقة فما قاله خاضع للمناقشة.
ولماذا نناقش كذبة بائع؟ أليس في العالم قضايا أهم.
لا ينبغي أن تسمي قول البائع كذبة قبل أن يثبت كذبه.
ولكن قوله ثبت كذبه بالفعل لأن هذه حماسة.. أنظر إليها جيداً.

الفيلسوف
الزوجة

قلت لك إن حواسنا كثيراً ما تخدعنا وسأضرب لك مثلاً جيداً.
(بممل) لا فائدة من الأمثال.

الفيلسوف
الزوجة

... أحياناً أجدني جالساً في الحديقة ويكون الجو جميلاً...
هواء عليل يميل إلى البرودة المحببة – هذا ما تنقله إليّ
حواسي طبعاً – كما يكون المنظر خلاباً من حولي..
أشجارٌ خضراء مليئة بالحياة وأزهار جميلة وهدوء
ساحر تتخلله موسيقى شجية تعزفها العصافير فتمتلئ
نفسى بهجة تترجمها شفتاي إلى ابتسامة رضى أستقبل
بها العالم من حولي فينبؤني حدسي أن يومي سيكون
سعيداً. وما هي إلا دقائق معدودة حتى تأتئين وتجادلين
وتصرخين ثم تتركينني وقد تلاشت ابتسامتي وتقطب
جبيني فإذا بالهواء العليل يصبح حراً مملأً يخرج من
داخلي وإذا بعيني تلاحظ أن الأوراق الخضراء مصفرة
الحواسي وقد شققها الجفاف والأزهار الجميلة ذابلة

الأطراف ويخرج من داخلها حشرات كثيرة وإذا بالهدوء الساحر يتحول إلى جو كئيب وإذا بأغاني العصفير تصبح صرخات حادة لا مبرر لها إلا مضايقة البشر وإذا باليوم السعيد الذي وعدنيه حدسي يصبح يوماً تعيساً.. فأدرك أن حواسي لم تنقل إليّ الحقائق بأمانة في البداية ولم تنقلها بإنصاف في النهاية، بل كانت خادماً مطيعاً لنفسي في الحاليتين.. أفبعد ذلك تريدني أن أصدق الحواس الخادعة.

الزوجة أما أنا فأصدق حواسي التي تقول الآن إن هذا الطائر حمامة.

الفيلسوف أنت ما زلت غير مدركة تماماً للفرق بين المظهر والجوهر.

الزوجة هل تعني أن مظهر هذا الطائر حمامة وجوهره بيبغاء؟
الفيلسوف من المحتمل أن تكون الحقيقة كذلك.

الزوجة وهل من الممكن أن يكون للشيء جوهر مختلف عن مظهره؟

الفيلسوف نعم.

الزوجة (ساخرة) إذن فجوهر البستاني مالك الحزين وجوهر الخادمة نحلة شغالة أما أنا.. ففراشة.

الفيلسوف (باستغراب شديد) فراشة؟!

الزوجة ما وجه العجب؟ ماذا تظني إذاً؟

الفيلسوف فراشة! (لنفسه) مع أن الفراشة لا تعيش حتى تصبح في الخامسة والأربعين.
الزوجة وأنت، ما جوهرك؟
الفيلسوف لا أعلم.
الزوجة سأتوصل إلى تحديد جوهرك عندما أتمكن من فك رموزك المعقدة.

ينتهد الفيلسوف باستياء ويعود إلى جريدته.
تدخل وردة وتتقدم إلى الزوجين.

وردة الطعام جاهز يا سيدتي، هل أضعه على السفرة الآن؟
الزوجة نعم يا وردة.
وردة حسناً يا سيدتي (تنظر إلى القفص) هل أضع الحمامة في الحديقة؟
الفيلسوف (يرفع عينيه عن الجريدة ويلتفت إلى وردة) ماذا أردت؟
وردة (باضطراب) كنت أقول هل أضع البيغاء في الحديقة؟
الزوجة (بغضب) إنها ليست ببيغاء يا وردة.
الفيلسوف (بهدهوء شديد وهو يلتفت إلى زوجته) ولكنك لم تبرهني بعد على أنها ليست ببيغاء.
الزوجة (بغضب شديد) لن أبرهن شيئاً! (تحمل القفص وتقف أمام النافذة وتفتح بابه وتطلق الطائر ثم تجلس على الأريكة وتبتسم بارتياح) وهكذا حلت المعضلة.

الفيلسوف لو كان حل المعضلات بالتخلص من ظواهرها لما احتار فيلسوف.

الزوجة (بسعادة) ولكنني لست فيلسوفة لذلك أستطيع أن أحل المعضلات كما أشاء.

الفيلسوف بقليل من الصبر كنت ستبرهنين على أنها حمامة. (تنظر إلى زوجها باستغراب) هل كنت تعلم أنها حمامة؟

الفيلسوف كانت خصائصها خصائص حمامة. (مدهشة) وما الذي جعلك تصر على أنها بيغاء؟

الفيلسوف لم أكن أريد أن أتهم البائع بالكذب والعش بدون براهين. (صارخة) ما أبرذك!

الفيلسوف تذكرني أنني أدعو إلى الأخلاق الحميدة ومن ضمن الأخلاق الحميدة حسن الظن بالناس.

الزوجة ليس هذا حسن ظن بالناس وإنما هو غباء.. جنون! يبدو أنك لن تتغير أبداً! كلما مر عليك عام ازددت غرابة وقلت قدرتي على تحملك.

يبدو الضيق على الفيلسوف ويلتقط جريدته. تنظر إليه الزوجة بغضب شديد ثم تتنهد وتلتقط جريدة وتتشاغل بتصفحها.

الفيلسوف (يضع الجريدة جانباً كمن تذكر شيئاً وينظر إلى كيس الحبوب) وماذا سنفعل بطعامها؟

الزوجة (تمسك بكيس الحبوب) بما أنك لا تجيد إلا الكلام
وكلامك غير مفهوم دائماً فجوهرك ببيغاء لذلك سنتركه
لك.

ينظر إليها الفيلسوف صامتاً.

الزوجة (تنظر إلى فم زوجها) ولكن يبدو أن منقارك مصاب
بتشوه خلقي لأنه يشبه فم الإنسان ومن ثم فلن تستطيع
تقشير هذه الحبوب، لذلك فلا يسعنا إلا أن نتخلص منها
هي أيضاً.

تقوم من مكانها وتلقي بالكيس في سلة المهملات.
يحدق الفيلسوف في السلة في صمت.

ستار

الأمسية الخامسة

بعد سنة/ شتاءً

الغرفة نفسها وقد سادها ظلام حالك فيما عدا ضوء ضعيف جداً يأتي من وراء ستارة النافذة.

الزوجة (يأتي صوتها من الداخل) وردة! وردة! هل وجدتِ شموعاً؟

وردة (يأتي صوتها من المطبخ) لم أجد إلا واحدة ونصف يا سيدتي.

الزوجة فقط؟ (يسمع صوت خطواتها وهي تدخل الغرفة) احتفظي بالنصف وأعطني الكاملة.

يُسمع صوت خطوات وردة قادمة إلى الغرفة ثم تظهر ويدها شمعتان صغيرتان مضاءتان فتقترب منها السيدة وتأخذ الشمعة الأكبر حجماً.

الزوجة هل تعلمين متى سيعود التيار الكهربائي؟
وردة لا يا سيدتي. ربما يعلم سيدي بذلك. سيخبرنا عندما يعود.

الزوجة سيدك! إنه لا يعلم شيئاً. كل ما أتمناه أن لا ينسى إحضار الشموع التي أوصيته بإحضارها.
وردة أتمنى أن يذكرها يا سيدتي. (تغادر الغرفة).

ينفتح الباب ويظهر الفيلسوف وبيده كتاب وكيس صغير.

- الزوجة أخيراً وصلت! (تقرب الشمعة منه) غريب جداً!
- الفيلسوف ما هو الغريب؟
- الزوجة لقد خرجت اليوم أربع مرات ولم تصطمم بشيء أو تقع.
- الفيلسوف لم أرك مضدماً منذ مدة طويلة! أين الشموع؟
- الزوجة شموع؟ لم أحضر شموعاً.
- الفيلسوف (صارخة بغیظ شديد) لماذا؟ عد إذن وأحضر الشموع!
- الفيلسوف (بهدهوء) إن الجو بارد جداً في الخارج، لن أخرج ثانية.
- الزوجة (يتلقت حوله) نحن فعلاً بحاجة إلى شموع.
- الفيلسوف لذلك لم تحضرها! (صارخة) لماذا لم تفعل؟
- الزوجة (مفكراً) لماذا.. لماذا.. تذكرت! لم يكن معي ما يكفي من النقود.
- الزوجة ولكنك خرجت من هنا عندما انقطع التيار الكهربائي من أجل شراء الشموع أي أنك خرجت ومعك ما يكفي من النقود.
- الفيلسوف نعم، كان معي نقود عندما خرجت ولكن..
- الزوجة ماذا حدث؟ هل سرقت نقودك؟
- الفيلسوف لا، لا.. ولكنها نفذت قبل أن أشتري الشموع.
- الزوجة (صارخة باستغراب) لماذا؟ كيف؟ ماذا اشتريت؟
- الفيلسوف (مبتسماً) لقد وجدت في المتجر هذا الكتاب القِيم، تعلمين أن ذلك المتجر به أقسام كثيرة، (ينظر إلى الكتاب بمودة) لم أستطع تجاهله فاشتريته بما كان معي من النقود.

الزوجة (بغيط شديد) كيف تشتري كتاباً بثمان الشموع التي نحن في أشد الحاجة إليها الآن؟ ألم تستطع تأجيل شراء الكتاب إلى الغد؟

الفيلسوف لا طبعاً! أنت تعلمين أنني أنسى الأشياء إذا أجلت شراءها.

الزوجة (بصوت يائس) لماذا لم تكتب اسم الكتاب في مكان ما لتتذكره غداً بدلاً من شرائه بثمان الشموع التي نحتاجها اليوم؟

الفيلسوف أنت تعلمين أيضاً أنني لا أنظر إلى الأوراق التي أكتبها لتذكرني بالأشياء التي أريد تذكرها؛ دائماً أنساها. ومع ذلك فقد كتبت كلمة "شموع" على قصاصة من الورق لأتذكر إحضارها غداً.

الزوجة (بغضب) لا أريد الشموع غداً! سيكون التيار الكهربائي قد عاد. (بصوت باكٍ) ما أعظم بلواي! أرسلك لشراء شموع فنشتري كتاباً (تختطف الكتاب من يده) سأحرمك منه! سأخذه غداً إلى المتجر وأبدله بشموع.

الفيلسوف لماذا؟ ألن يكون التيار الكهربائي قد عاد؟ طبعاً سيكون قد عاد ولكني سأفعل ذلك عقاباً لك (تنظر إلى عنوان الكتاب على ضوء الشمعة) "فلسفة الكينونة" أليست لديك نسخة من هذا الكتاب؟

الفيلسوف كانت لدي نسخة منه قبل أن يضيع مني في الأسبوع الماضي.

- الزوجة
الفيلسوف
- (بغیظ شدید) ولكنك قرأته عشرات المرات.
وسأقرؤه أيضاً عشرات المرات. أنا لا أملك قراءته فهو
وكتاب "قانون الصيرورة" أصبح جزءاً من حياتي. إن
مواضيع بعض الكتب تتميز بالديمومة.
- الزوجة
الزوجة
- (بتهمك) ديمومة! صيرورة! كينونة! ما أسخف هذه
الكلمات خاصة الآن ونحن في أشد الحاجة إلى..
"شموعة!"
- الفيلسوف
الزوجة
- في أشد الحاجة! لماذا؟
عندما ينقطع التيار الكهربائي في ليلة ليست مقمرة إلا
نكون بحاجة إلى شمعة؟
- الفيلسوف
الزوجة
- أنت فقط بحاجة إلى شمعة أما أنا فشمعتي هذا الكتاب
(يختطفه من يدها).
شمعتك؟ (ساخرة) هل تستطيع أن تأخذه معك إلى
المطبخ لتعد كوب شاي؟
- الفيلسوف
الزوجة
- (بتلقائية) لا طبعاً! لا أريده أن يبتل.
إذن فهو ليس شمعة! (تنظر إلى الشمعة في يدها) وهل
يذوب كتابك وتسيل مادته ويتضاءل حجمه إلى أن
ينطفئ؟
- الفيلسوف
الزوجة
- لا! كتابي لا ينطفئ أبداً.
(صارخة بغیظ) إذن فهو ليس بشمعة!
- الفيلسوف
الزوجة
- لماذا تصرخين؟
لأنني أريد شمعة!

- الفيلسوف ولكن لديك شمعة.
- الزوجة (تهم بالكلام فتلاحظ الكيس الصغير بيد زوجها) ما الذي بيدك؟
- الفيلسوف (ينظر إلى الكيس) آه! لقد كدت أنسى! هذا الكيس لك أنت.
- الزوجة لي أنا!
- الفيلسوف نعم، فبعد أن دفعت ثمن الكتاب زاد بعض النقود فخيرني البائع بين أن أشتري شمعة أو صابونة بالياسمين..
- الزوجة (تتنفس بارتياح) الحمدلله! (بسرور) لماذا لم تخبرني أنك اشتريت شمعة منذ البداية؟ (تمد يدها لتأخذ الكيس).
- الفيلسوف ولكني لم أشتري شمعة.
- الزوجة (بصوتٍ غاضبٍ ومحبطٍ وهي تبعد يدها عن الكيس) اخترت الصابونة؟ كان يجب أن أتوقع ذلك!
- الفيلسوف (بهدهوء) في البداية اخترت في الاختيار ثم جاءتني ومضة فكرية فتذكرت أنك طلبت إليّ شراء صابون الياسمين منذ مدة.
- الزوجة (وهي تبكي من الغيظ) لماذا تصدق ومضاتك الفكرية؟ ألم تثبت لك الأيام أن ومضاتك الفكرية دائماً تخطيء لأنها لا تأتي في الأوقات المناسبة؟ دائماً متأخرة! طلبت الصابون منذ سنة ثم اشتريته بنفسه ثم نسيت. لا أريد صابون الياسمين. أنا بحاجة إلى شمعة!

الفيلسوف ولكنني رأيت أن الأولوية للطلب الأقدم. تعرفين أن هذا مبدئي.. ظننت أن صابونة الياسمين ستسعدك.

الزوجة (بانفعال وهي تجفف أدمعها) تسعدني! لا، لقد أتعستني!

الفيلسوف إن انفعالاتك دائماً تأتي مضاعفة مائة مرة!

الزوجة هذا لأن برودك دائماً يأتي مضاعفاً مائة مرة!

الفيلسوف إنك محقة في أن لكل فعلٍ رد فعلٍ مساوٍ له في المقدار

ومضاد له في الاتجاه، ذلك مطلوب لحفظ التوازن

ولكن..

الزوجة رأيت؟ ما قلته الآن مَثَل حي لبرودك الذي يأتي مضاعفاً

مائة مرة! ففي الوقت الذي أعاني فيه، تردد أنت ببرود

أقوالك المستهلكة!

تعانين!

الفيلسوف

الزوجة ألم تلاحظ أن يديّ أصبحتا ترتجفان بشكل عسبي لأدنى

سبب؟ قيل لي أن ذلك حدث نتيجة للغضب المختزن

وللإحباط المستمر وقمع النفس وعدم التنفيس عما

يختلجها بالتعبير عن ردود فعل نفسي الحقيقية لما أراه

وأسمعه.

الفيلسوف ولكنك تعبرين جيداً عما يختلج نفسك! وتعبرين عن ذلك

بوحشية!

الزوجة (تتنهد) ولكن، لا يتسنى لي أن أعبر عن نفسي دائماً، في

معظم الأحيان يتفوق برودك على طريقي في التعبير

مثلما حدث الآن... لو كنت معبرةً عن رغبتني كما يجب
ل... .

الفيلسوف
الزوجة
كل ذلك من أجل... من أجل ماذا؟ (يلاحظ الشمعة في يد زوجته) من أجل الشموع! (مستغرباً) لماذا؟ لديك شمعة. كنت أريد شموعاً كثيرة أضعها في كل مكان لتضيء لنا المكان ريثما يعود التيار الكهربائي.

الفيلسوف
الزوجة
لا تبتنسي، سأشتري لك شموعاً. أعلم أنك ستفعل في يومٍ من الأيام... ربما عندما أكون في أشد الحاجة إلى الصابون! (تحقق في وجهه بغضب) لم تحضر الشمعة الآن فقط لأنك تعلم أنها هي التي ستسعدني وليست الصابونة. (ثائرة) ماذا أفعل بالصابونة الآن؟

الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
(بهدوء) اغسلي بها وجهك. أغسل وجهي ولا أراه؟ ولماذا ترينه؟ هل نسيت ملامحك؟ ولن تمكثني صابونتك من رؤية شيء... لن أتمكن من قراءة مجلة على "رغوتها"!

الفيلسوف
الزوجة
هذا لأن الرغبة ليست من أجل الإضاءة وإنما من أجل التنظيف.

الفيلسوف
الزوجة
(بغضب) ولكني لا أريد أن أنظف شيئاً الآن! أريد أن أرى.

تتجه الزوجة إلى الأريكة وتجلس عليها. يتبعها زوجها ببطء ويقدم لها الصابونة.

الفيلسوف لقد نسيت أخذ هديتك.
الزوجة (بسخرية وهي تأخذ الصابونة) هديتي! (تنظر إليها) لو جاءتني هذه الهدية في العام الماضي لكنت أسعد الناس بها، أما الآن وفي هذه الليلة المظلمة بالذات فليس لها إلا مكان واحد.

تنهض من مكانها وتلقي بها في سلّة المهملات ثم تعود إلى الأريكة وتجلس. يحدق الفيلسوف في السلّة مشدوهاً بضع ثوانٍ ثم يتحسس الطريق إلى كرسيه ويجلس عليه صامتاً لحظات ثم يفتح الصفحة الأولى من الكتاب.

الفيلسوف هل تريدن الشمعة؟
الزوجة نعم.
الفيلسوف ولكنك لا تفعلين شيئاً بها.
الزوجة لن أعطيك إياها عقاباً لك على عدم شراء الشموع.
الفيلسوف ما كل هذا الاهتمام بالشموع الآن؟ لم أعهدك محبة للشموع.

الزوجة (باستغراب) لست من هواة جمع الشموع ولكن ألا ترى أن هذا الوقت وقتها؟

الفيلسوف إنه وقت القراءة أيضاً، ألن تعطيني الشمعة؟
الزوجة لن أعطيك إياها، سأراقبها وهي تتوهج حتى تذوب.

الفيلسوف لماذا؟

الزوجة أحب رؤية اللهب.

يُسمع صوت خطوات وردة وهي تدخل وتتحسس طريقها إلى مكان الزوجين ببطء.

وردة (بصوت خائف) سيدتي، لقد ذابت شمعتي، أريد شمعة أخرى.

الزوجة ليس عندنا شمعة أخرى.

وردة ألم يحضر سيدي شموعاً جديدة.

الزوجة لا ولكنه أحضر صابونة، هل تريدين صابونة؟

وردة لا، لست بحاجة إلى صابونة، أريد شمعة.

الزوجة للفيلسوف) أرايت؟ لا أحد يريد صابونة الآن.

الفيلسوف أعطها شمعتك، إنها خائفة.

الزوجة لا، لن أتخلى عن شمعتي. أنا أيضاً أحتاجها.

وردة كيف أعود الآن إلى غرفتي؟

الزوجة (بحزم) كما جننت!

الفيلسوف (بحنان) لا تخافي من الظلام يا.. يا..

وردة.

الفيلسوف ... يا وردة، فالفرق بين الأشياء في النور وبينها في

الظلام هو الفرق بين أن تريها وألا تريها.

وردة وما الفرق بين أن أراها وألا أراها؟

الفيلسوف عندما ترينها، ينقل إليك جهازك البصري ظواهرها
المريئة فترينها بأشكالها وأحجامها الطبيعية، أما عندما لا
ترينها فإنك تشعرين أنها موجودة بأحجام كبيرة وأشكال
مبهمة يصورها لك استعدادك للخوف أشباحاً مرعبة.
وردة (بصوت مرتجف) شكراً يا سيدي. لقد طمأننتني!

تتحسس وردة طريقها إلى خارج الغرفة بحذر. ينظر الفيلسوف إلى
الكتاب ويبدو كمن يقرأ.

الزوجة لماذا ينقطع التيار الكهربائي في ليلة باردة ظلماء كهذه؟
الفيلسوف لا أعلم وأرجو عدم التحدث إليّ لأنني أقرأ.
الزوجة (باستغراب وهي توجه إليه شمعتها) تقرأ؟
الفيلسوف (دون أن يرفع بصره إليها) نعم.
الزوجة كيف؟

الفيلسوف لقد حفظت هذا الكتاب عن ظهر قلب لكثرة ما قرأته،
وأعلم فحوى كل صفحة فيه، والآن ما عليّ إلا أن
أعرف ترتيب الصفحة لأسترجع ما بها كلمة كلمة.
الزوجة غريب جداً! ألا تجد ذلك مملاً؟
الفيلسوف لا، ولا تكلميني ثانية من فضلك كي لا تقطعي عليّ
القراءة.

الزوجة (متذمرة) لماذا نفقد القدرة على الرؤية في الظلام؟
الفيلسوف لبيتنا كنا نفقد القدرة على الكلام أيضاً!
الزوجة لبيتنا كنا نرى في الظلام.

الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
معاني الظلام.
ما الذي بها؟
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة
الفيلسوف
الزوجة

ولكننا نرى في الظلام إذا أحببنا.
بحفظ الكتب عن ظهر قلب لنقرأها بدون إضاءة؟
لا، ولكن بأن نتأمل.. إن في الظلام معانٍ كثيرة.
ولكني أفضل تأمل الشمعة... إن بها معانٍ أكثر من
معاني الظلام.
إن بها نور ودفء ومزايا كثيرة.
أتريننا نشعر بوجودها لولا الظلام والبرد.
ولكن الظلام والبرد مفروضان علينا، ونحن نقاومهما
بالنار، أما النار فنحن نوقدها بأنفسنا.. ونسعى إليها.
لو لم ينقطع التيار الكهربائي لما تهافتت عليها.
وكذلك "في الليلة الظلماء يُفتقد البدر".. يكفي النار فخراً
أنا نرى بواسطة قيس صغير منها بحجم لهب الشمعة
بينما يمنعنا الظلام من الرؤية.
ولكن أكبر الحقائق في الدنيا هي التي لا نراها بأعيننا.
(بإعجاب) لو لم تكن في النار مزايا كثيرة لما عبدها
الناس في يوم من الأيام.

ينظر الفيلسوف باستغراب إلى عيني زوجته اللتين تلمعان خلف ضوء
الشمعة.

الفيلسوف
الزوجة
غريب جداً!
(وهي تتأمل الشمعة كالحالمة) حتى الفراش يعشق النار.

الفيلسوف
الزوجة
ولكنه يتساقط عليها ويحترق بها.
(وهي تنظر إلى الشمعة بانبهار) وما حياة الفراش
بجانب عظمة النار!

الفيلسوف
لنار؟
ما أغرب الإنسان! كيف تجعلك ليلة مظلمة واحدة عاشقة

الزوجة
شييناً) هل تصدق أن هذه الشمعة الصغيرة تستطيع قتلك؟
(بإعجاب شديد) النار قوةٌ جبارة، بإمكان لهب هذه
الشمعة الصغيرة أن يقضي علينا وعلى منزلنا هذا.
(تتأمل الشمعة ثم تنظر إلى زوجها فجأة وكأنها تذكرت

الفيلسوف
العقلية والعضلية.
ولكن النار لن تتمكن من عمل شيء بدون قوى الإنسان

الزوجة
ألا ترى في النار مزايا على الإطلاق؟
أرى بها مزايا ولكنني لست من عبدة النار.

الزوجة
(بغیظ) وهل تراني ساجدة لها؟

الفيلسوف
لا، ولكنك تغزلت بها كثيراً.

الزوجة
ألم تتغزل أنت بالظلام؟

الفيلسوف
ولكنني لم أراقبه طوال الوقت بل أخذت أقرأ.

الزوجة
لو كانت لديك شمعة لقرأت الجريدة أو أحد كتبك
الجديدة.

الفيلسوف
فعلاً، هذه من مزايا الشموع الهامة.

يوصل الفيلسوف القراءة وتواصل زوجته مراقبة الشمعة.

بعد قليل.

- الزوجة
الفيلسوف
- (بفزع) أصبحت الشمعة صغيرة جداً!
وماذا في ذلك؟
- الزوجة
الفيلسوف
- لقد قاربت على الانتهاء والليل في أوله؟
ولماذا الذعر؟
- الزوجة
الفيلسوف
- لن يكون لدينا ضوء آخر. (غاضبة) أنت السبب! لو لم
تشتتر ذلك الكتاب لما شارفنا على مواجهة هذه المشكلة.
- الزوجة
الفيلسوف
- (بهدهوء) أية مشكلة؟
ألا ترى الظلام من حولك؟
- الزوجة
الفيلسوف
- ما به؟
بماذا نواجهه بعد أن تذوب الشمعة؟
- الزوجة
الفيلسوف
- بلا شمعة!
(غاضبة) ألا تكف عن هذا البرود؟
- الزوجة
الفيلسوف
- لماذا كل هذا الجزع؟
أنظر إلى الشمعة، إنها تتضاءل بسرعة وليس لدينا
غيرها.
- الزوجة
الفيلسوف
- لماذا تربطين مزاجك بالأشياء قليلة الأهمية والقصيرة
الأمم؟
- الزوجة
الفيلسوف
- بماذا أربط مزاجي إذاً؟ بالظلام؟
ولكن لماذا كل هذا الجزع؟ أيسوؤك أن يستريح بصرك
قليلاً؟

الزوجة نعم، يضايقني أن يستريح رغم أنفي ويضايقني أكثر أنك أنت السبب.

الفيلسوف أما أنا فلا يضايقني شيء إلاً مقاطعتك لي. دعيني أقرأ في هدوء. (يمرر يده على صفحة الكتاب المفتوح أمامه).

بعد لحظات.

الزوجة (بقلق وهي تنظر إلى الشمعة) أرايت؟ لم يبق منها إلا ما مدته دقيقة أو بضع دقائق.

الفيلسوف (باستنكار ونفاد صبر) كل هذا الضيق والحزن والصخب والغضب والفرع بسبب الظلام المؤقت؟ بسبب شيء سينتهي قريباً جداً؟

الزوجة ولماذا أقضي هذا الوقت المؤقت في الظلام وقد كان بالإمكان ألا أفعل لولا سوء تصرفك؟ (تنظر إلى الشمعة) ليتك لا تنتهين أيتها الشمعة العزيزة.

الفيلسوف ستدركين قريباً جداً أن ذعرك ليس له مبرر على الإطلاق.

يوصل الفيلسوف القراءة.

تضاء الغرفة فجأة.

الزوجة (بسرور) لقد عاد التيار الكهربائي! أستطيع استئناف حياتي العادية الآن.

يعرك الفيلسوف عينيه المتقلصتين بفعل النور المفاجيء بينما تهب الزوجة واقفة لتغادر الغرفة والشمعة ما تزال في يدها وفجأة تشهق وتلقي الشمعة بعيداً عنها.

الفيلسوف ماذا حدث؟
الزوجة لقد سال بعض الشمع على يدي (وهي تطفئ الشمعة بحذائها) سنتناول العشاء بعد قليل.
الفيلسوف (مستغرباً) لماذا أطفأت الشمعة بحذائك.
الزوجة كي لا تحرق السجاد. لا تقلق سنتنظف وردة مكانها غداً.
(تلتقط الشمعة).
الفيلسوف لست قلقاً على السجاد.
الزوجة ما المهم في الأمر إذاً؟ حذائي؟
الفيلسوف لا... ولكنني أشفقت على الشمعة.
الزوجة (باستغراب شديد) لماذا؟
الفيلسوف لم تستمتع بالتقديس طويلاً.

ترفع الزوجة كتفيها بلا مبالاة ثم تلقي ببقية الشمعة في سلة المهملات وتتجه إلى الداخل.

الفيلسوف انتظري. أطفئي المصباح من فضلك، أريد أن أكمل القراءة.
الزوجة (مستغربة) لماذا تقرأ في الظلام وقد عاد التيار الكهربائي؟

الفيلسوف
لن أكمل في النور ما بدأت في الظلام.. سأظل وفياً
للظلام الذي بدأت فيه القراءة احتجاجاً على عدم وفائك
للمسعة.

الزوجة
احتجاجاً على عدم وفائي... للمسعة؟

الفيلسوف
نعم!

الزوجة
كيف كنت تريدني أن أعبر عن وفائي لها؟ هل كنت
تريدني أن أحتفظ بقطعة من الشمع المستهلك لا يتعدى
طولها نصف بوصة في الخزينة... لو كانت لدينا خزينة؟
لا، ولكن كان ينبغي أن تكوني شاكرة لها.

الفيلسوف
الزوجة
لا بد أن عودة التيار الكهربائي المفاجئة قد صعقت البقية
الباقية من أسلاك دماغك فأتلقتها! وإلا فكيف تريدني أن
أشكر شمعة؟ كيف أكلم جماداً؟

الفيلسوف
ولكنك كلمتها قبل أن يعود التيار الكهربائي. قلت لها..
قلت لها شيئاً كالتملق ولكنني نسيته، فهل كان لها عقل
قبل عودة الكهرباء؟

الزوجة
كنت أتسلى بالثرثرة.

الفيلسوف
بل كنت جادة! بعد كل هذه السنين من مراقبة الإنسان
ودراسته وجدت أن الجحود من أبشع وأقبح الصفات
السيئة فيه وأن الاحترام المبذول عند الحاجة فقط أي
التملق أدلّ للمتملق من الحاجة التي يتملق من أجلها.

الزوجة
(بصوت عالٍ) انتبه! هل نسييت أنك تتحدث عن شمعة..
عن جماد؟

الفيلسوف لا ولكن أخلاقيات الإنسان ينبغي أن تظل ثابتة في تعامله مع العالم، بمن فيه، وما فيه! (بحزم) كان ينبغي أن تضعي الشمعة في سلة المهملات برفق وحنان بعد أن أمضيت شطراً من الليل مستمتعة بضوئها وممجة لأفضالها!

الزوجة كيف ترمي بشيء في سلة المهملات بـ "رفق وحنان"؟ حسناً، في المستقبل سأضع القمامة على وسادة وثيرة مغطاة بالحرير قبل أن ألقى بها في السلة!

الفيلسوف تهكمي كما تشائين فإن ذلك لن يغير من استهجاني لموقفك وإعلان احتجاجي عليه. أطفئي المصباح.

الزوجة (باستنكار شديد) هل يعقل هذا؟! لن أطفئ المصباح فمن الجنون أن يقرأ الإنسان في الظلام (تهم بالذهاب).

الفيلسوف أطفئي المصباح من فضلك قبل أن تذهبي.

الزوجة (بدهشة شديدة) هل تريدني حقاً أن أطفئ المصباح؟

الفيلسوف طبعاً! لن أكمل قراءة هذا الفصل إلا في الظلام.

تتنهد الزوجة وتحرك رأسها يميناً وشمالاً في استنكار شديد.

الزوجة ما دام مثلك الأعلى خنفساء فلا غرو أن تعلن احتجاجك

تعاطفاً مع شمعة! (بصوت متذمر) ما أتعسني وقدري يربطني بمخبول مثلك! (وهي تتجه إلى الداخل) كيف أحتمل هذه الحياة؟ (وهي تخرج من الغرفة) ولكن، لماذا أحتملها؟ (يأتي صوتها عالياً من الداخل) لن أحتملها!

ينهض الفيلسوف من مكانه ويطفىء المصباح الكهربائي فيعم الظلام المكان مرة أخرى. يسمع صوت خطوات الفيلسوف عائداً إلى كرسيه ويتبع ذلك صخب ناتج عن ارتطام جسم بالمنضدة الصغيرة أمام الكرسي ثم سقوطه معها على الأرض.

الزوجة (يسمع صوتها أتياً من الداخل وبه رنة ساخرة)
الضمادات يا وردة!

ستار

الأمسية السادسة

بعد سنة.

المكان: غرفة الجلوس نفسها وقد علقت مكان المصباح الصغير وسط السقف ثريا هائلة الحجم (غير مضاءة) ووضع على المكتب مصباح آخر يضيء المكان.

تدخل الزوجة من الباب المؤدي إلى الداخل وتقف في منتصف الغرفة وتتأمل الثريا الضخمة بسعادة بالغة وتبتسم ابتسامة كبيرة.

الزوجة (لنفسها) لقد تمَّ كل شيء ولم يبق إلا التنفيذ (تنظر إلى ساعتها) لم يبق إلا دقائق وينتهي كل شيء، تتجه إلى النافذة وتخاطب البستاني في الحديقة.

الزوجة هل أنت مستعد؟

البستاني (يأتي صوته من بعيد) نعم.

الزوجة ممتاز.

تتأمل الزوجة السقف مرة أخرى وتجول بناظريها في أنحاء الغرفة ثم تشهق كمن تذكر شيئاً فتتجه إلى الباب المؤدي إلى المطبخ وتنادي.

الزوجة وردة.. وردة تعالي إلى هنا حالياً.

وردة (يأتي صوتها من المطبخ) ولكنني أغسل الصحون الآن

ويدي..

الزوجة أتركي كل شيء الآن وتعالى حالياً.

تتجه الزوجة إلى كرسي الزوج وتقف بجانبه منتظرة وردة التي تدخل بعد لحظات وهي تجفف يديها.

وردة نعم يا سيدتي.
الزوجة أريدك أن تساعدني في جرّ هذا الكرسي.
وردة ولكن هذا كرسي سيدي المفضل.
الزوجة أعلم، هيا تحركي.
وردة ولكن سيدي يحب القراءة على هذا الكرسي.
الزوجة سيبقى هذا الكرسي في هذه الغرفة ليقرأ عليه سيدك.
وردة (وهي تدفع بالكرسي إلى الأمام مع سيدتها) ولكنه يحب هذا المكان.
الزوجة ليس هذا من شأنك، إعلمي بصمت.

تتنهد وردة بضيق وتدفع المرأتان الكرسي إلى أن يصل إلى منتصف الغرفة.

الزوجة يكفي، هذا المكان مناسب.
وردة (بدهشة) هنا؟ في منتصف الغرفة؟
الزوجة نعم.
وردة ولكن...
الزوجة كفاك احتجاجاً. (تنظر إلى السقف ثم تعدل وضع الكرسي ليكون تحت الثريا مباشرة ثم تبتسم ابتسامة كبيرة) أليس هذا التغيير جميلاً يا وردة؟
وردة (مستغربة) هل قصدت التغيير بهذا؟

الزوجة نعم. هذا الموقع رائع لهذا الكرسي، وأنا أحب التغيير
كما تعلمين.

وردة نعم أعلم ذلك فقد نقلت سرير سيدي في الشهر الماضي
إلى المطبخ بجوار أنبوبة الغاز.

الزوجة نعم، لقد كان الجو بارداً وهو يحب الدفء.
وردة ولكنه كاد يموت عندما تسرب الغاز لولا أنه تمكن من

الهرب في آخر لحظة عندما كسر النافذة وخرج منها.
الزوجة لقد خرج من الباب وليس من النافذة.

وردة لا يا سيدتي، يبدو أنك نسيت أن الباب كان مقفولاً من
الخارج.

الزوجة (بحرج) هل كان مقفولاً؟ ربما، على كل حال لا أحب أن
أتذكر تلك الحادثة المخيفة التي كادت تقتل زوجي العزيز

(مهدة) فلا تذكرها أمامي ثانية!
وردة حسناً، لن أذكرها مرة أخرى. هل تريد شيئاً آخر يا

سيدتي؟
الزوجة لا، أكملني غسل الصحون الآن.

تذهب وردة إلى المطبخ وتجلس السيدة على الأريكة وتتصفح جريدة
قديمة.

تدخل الخادمة مسرعة بعد لحظات ويدها زجاجة صغيرة.

وردة (بفرع) سيدتي، سيدتي، أنظري إلى هذه الزجاجة.
الزوجة ما بها؟

وردة يا له من فأر متعب! (تفكر برهة) ولكني لم أر فأراً هنا قط.

الزوجة كان هنا في العام الماضي عندما كنت تقضين إجازتك.
وردة (تبتسم بارتياح) إذن فقد قضيتِ عليه أخيراً.

تدخل وردة المطبخ.

الزوجة (لنفسها) لا لم أقض عليه بعد ولكني سأفعل... بعد دقائق.
(تذهب إلى الداخل).

يدخل الفيلسوف من الباب المؤدي إلى الخارج وذراع اليسرى معلقة إلى عنقه وهو يقرأ جريدة، ويمشي إلى مكان كرسيه وهو مستغرق في القراءة ويصل إلى مكان الكرسي ثم يستدير ببطء ويهم بالجلوس فيقع على الأرض بين المقعد والسلة وتتدلى ذراعه من فوقهما.

الفيلسوف (صارخاً) من دبر هذه الحيلة السخيفة؟

تدخل الزوجة مسرعة فتراه في هذا الوضع والجريدة مدلاة من يده اليمنى فتضحك.

الفيلسوف (باستياء) لا يوجد ما يضحك، من فعل هذا؟
الزوجة (وهي تحاول التوقف عن الضحك) أنا ولكني لم أرمِ إلى ذلك، نسيت أنك لا ترى أمامك عندما تقرأ أو تفكر.
الفيلسوف عرفت أنها فعلتلك أنت.

الزوجة صدقني لم أقصد هذا.. ولكن، أحياناً تربح شيئاً صغيراً
إضافياً عندما تشتري شيئاً كبيراً.

الفيلسوف ماذا اشتريت؟ أعني ماذا فعلت؟ (متشككاً) أشعر أنك
دبرت لي مكيدة.

الزوجة لا.. لا، لم أدبر شيئاً، فقط غيرت موقع كرسيك.

الفيلسوف (يلقي نظرة على كرسيه في وسط الغرفة) لماذا؟

الزوجة اكتشفت أن موقعه غير صحي فنقلته من مكانه. (تمسك
يده لتعيّنه على النهوض).

الفيلسوف (وهو ينهض بصعوبة) غير صحي؟ كيف؟

الزوجة أعني فيما يتعلق بعينيك.. تعرف كم أهتم بصحتك
وصحة عينيك.

الفيلسوف (ساخراً) ما أرق قلبك!

الزوجة نعم إن قلبي رقيق جداً ويؤلمني أن أراك هكذا بين الفينة
والفينة والضمادات ملتفة حولك.

الفيلسوف قلت لك لا يضر تلم الوعاء إذا سلم ما يحتويه.

الزوجة ولكني سمعت أن العقل السليم في الجسم السليم.

الفيلسوف لا أظن أن مفكراً قال ذلك، لم يقلها إلاّ مصارع أو حامل
أثقال، وأنا لا أثق في رأي إنسان يستهلك من الوقت في
تربية عضلاته مقدار ما أستهلكه في تربية عقلي.

الزوجة (باستغراب) هل ما زلت تربي عقلك؟

الفيلسوف طبعاً!

الزوجة (تهز رأسها مؤيدة) "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد"!

الفيلسوف ولكن لماذا نقلت الكرسيّ من مكانه؟ أنت تعلمين أنني أحب أن أقرأ وخلفي نور الشمس الذي يدخل عليّ من النافذة.

الزوجة ولكن نور الشمس تختلف درجاته من وقت لآخر واختلاف درجات الإضاءة مضر بالعين.

الفيلسوف لا يهمني ذلك، أريد ضوء الشمس وإن اختلفت درجاته، (يتجه إلى الكرسي) وسأعيد الكرسي إلى مكانه.

الزوجة (صارخة) لا! أرجوك جرّب هذا المكان أولاً.. ثم إن الشمس لا تظهر ليلاً وأنت تقرأ في الليل أيضاً.

الفيلسوف لا مانع لديّ من أن أقرأ على ظلام الليل الذي يدخل عليّ من النافذة (يهم بتحريك الكرسي).

الزوجة (تصرخ) انتظر!

الفيلسوف (يتوقف بخوف) ما الأمر؟

الزوجة ألا ترى أنني وضعت كرسيك تحت الثريا الجديدة مباشرة لتحظى بإضاءة قوية. (تتأمل الثريا بإعجاب).

الفيلسوف (ينظر إلى الثريا) لماذا وضعت هذا الشيء القبيح مكان المصباح؟

الزوجة لكي لا تجهد القراءة عينيك الجميلتين.

الفيلسوف ولكن الإضاءة الهائلة التي سينتجها هذا الشيء ستحرق عيني الجميلتين!

الزوجة لا، لا، لا! إنها جيدة ولن تضرك أبداً، جرّب القراءة هنا الآن قبل أن تعيد الكرسي إلى مكانه.

الفيلسوف حسناً.

يهم بالجلوس على الكرسي على مضض ولكنه يرفع رأسه وينظر إلى الثريا الضخمة ثم يتجه إلى الحائط ويمد إصبعه ليضيئها.

الزوجة (تصرخ بسرعة) لا!
الفيلسوف (يبعد يده بخوف) لماذا؟
الزوجة (متلعثمة) لا نحتاج إلى إضاءة الثريا الآن لأنني أحضرت لك مصباحاً آخر (تشير إلى المصباح الصغير على المكتب).

الفيلسوف دعيني أعود إلى مكاني إذاً. (يهم بتحريك الكرسي).
الزوجة لا! جرّب هذا المكان الجديد أولاً فقد قرأت كتاباً جديداً في فن الديكور يقول...
الفيلسوف إذن سأضيء النور.
الزوجة (تصرخ ثانية) لا!

يتجاهل الفيلسوف صرختها ويضغط على الزر فلا تضاء الثريا.

الزوجة (متلعثمة) أردت إخبارك بذلك.. سيأتي العامل غداً لتوصيل الأسلاك.

يتنهد الفيلسوف بضيق ويتجه إلى الكرسي ويجلس عليه فيبدو على زوجته الارتياح.

الفيلسوف ولكنني أشعر بالغباء الشديد وأنا جالس هنا في منتصف المكان.

الزوجة (بصوت منخفض) فقط وأنت جالس في هذا المكان؟
الفيلسوف ماذا قلت؟

الزوجة لم أقل شيئاً، كنت أتعايش مع ذاتي.

يبتسم الفيلسوف ثم ينشر الصحيفة أمامه ليكمل قراءتها، عندئذ تتنفس الزوجة الصعداء ثم تتجه إلى النافذة وتطل منها على الحديقة.

الزوجة (للبيستاني) الآن.

الفيلسوف (بدهشة وهو يقرأ الجريدة) الآن ماذا؟

الزوجة لا أكلّمك أنت، أكلّم البيستاني الكسول الذي ثقل سمعه فجأة.

يوصل الفيلسوف القراءة وتلتفت الزوجة إلى النافذة مرة أخرى.

الزوجة (بصوت عالٍ) قلت لك الآن.. هل تسمع؟ أرخ الحبل الآن.

الفيلسوف أيّ حبل؟

الزوجة (تلتفت إلى زوجها بغضب) قلت لك إني لا أكلّمك أنت.

الفيلسوف تذكرت، قلت لي إنك تتعايشين مع ذاتك.

الزوجة تماماً!

الفيلسوف ولكن لماذا تصرخين؟ هل ذاتك صمّاء؟

الزوجة نعم. (تلتفت ثانية إلى الحديقة) أرخ الحبل الآن.

الفيلسوف (مخاطباً نفسه) ماذا تفعل ذاتُ صماءٍ بالحبال؟ (يلتفت إلى زوجته فيراها أمام النافذة) هل أرسلت ذاتك لتتنزه في الحديقة؟

الزوجة لا بل أرسلتها لتتنشر الغسيل!

الفيلسوف (مستاءً) لم أكن أمزح!

الزوجة (تلتفت إليه بغضب) إذن كيف تغادر الذات الجسد؟ هل

تغادر ذاتك أنت جسدك؟

الفيلسوف طبعاً ولكنها لا تتنزه في الحقائق بل تحلق بعيداً جداً.

الزوجة (بغیظ) وحتماً تقع في المنخفضات الجوية وتصطدم

بالطائرات وتعود إليك وهي ملفوفة بالضمادات.

الفيلسوف من تكلمين في الحديقة إذاً؟

الزوجة أكلم البستاني الغبي.

يعود الفيلسوف إلى جريدته بينما تتجه الزوجة إلى الباب الداخلي.

الزوجة وردة، إذهبي إلى الحديقة وانظري هل البستاني في

مكانه.

الفيلسوف ما هذا الاهتمام المفاجيء بأمر البستاني؟

الزوجة اكتشفت أنه لا يمكن الاعتماد عليه. ولا تقل لي إنني

اتهمته بلا برهان فالدليل موجود!.. وحققي!

الفيلسوف ما هو الدليل؟

الزوجة الدليل هو أنك تكلمني الآن؟

الفيلسوف (بلا اكتراث) يبدو أنك بدأت تهذين من الغضب. (يعود إلى قراءة الجريدة).

تقف الزوجة أمام النافذة ويبدو عليها القلق.
تدخل وردة بعد قليل.

الزوجة هل هو هناك؟
وردة نعم يا سيدتي لقد أغفى قليلاً ولكني أيقظته.
الزوجة سأذهب إليه.

تخرج الزوجة فتتقدم وردة نحو سيدها بسرعة وحذر.

وردة سيدي، يجب أن تقوم من هذا المكان بسرعة لأن سيدتي تريد أن.. (يبدو عليها التردد).

الفيلسوف أكملني، ماذا تريد؟
وردة لا أعلم كيف أفهمك ذلك يا سيدي.

الفيلسوف تفهميني ماذا؟

وردة أنظر إلى تلك الثريا.

الفيلسوف (يرفع بصره إلى الثريا بلا اكتراث) ما بها؟

وردة لقد وُضع كرسيك تحتها عمداً.

الفيلسوف لماذا؟

وردة لا أستطيع أن أصرّح، إنها مسؤولية كبيرة.

الفيلسوف لم أفهم شيئاً!

وردة تلتفت إلى الخلف بحذر ثم تنظر إليه) أظن أنه عندما يُرعى حبلٌ في مكان ما ستسقط هذه الثريا على رأسك.

يضع الفيلسوف الجريدة بجانبه وينظر إلى وردة وهو يضحك.

الفيلسوف إنك تفكرين بطريقة مضحكة يا.. يا.. وردة، كيف يُرعى حبلٌ فتسقط هذه.. ماذا قلت؟ آه، أظن أنك محقة لأنني سمعت زوجتي تطلب من البستاني أن يرعى حبلًا.. (يطلق ضحكة صغيرة) الآن فهمت (يرفع رأسه إلى الثريا) لهذا أحضرت هذه الثريا العملاقة.

وردة (وهي تهز رأسها مؤيدة) أعتقد أن فيها ثقل يكفي لقتل إنسان.

الفيلسوف إذن ليس من الحكمة أن أنتظر في هذا المكان حتى يسقط هذا الشيء على رأسي.

تهز وردة رأسها مؤيدة.

الفيلسوف شكراً يا وردة.

ينهض الفيلسوف من مكانه بسرعة ويدفع بالكرسي إلى الوراء قليلاً خارج نطاق الثريا بحيث لا تصيبه إذا سقطت. تخرج وردة. تدخل الزوجة غاضبة.

الزوجة هذا البستاني الأحمق لا يعرف كيف يفك عقدة صغيرة في الحبل.

الفيلسوف
الزوجة
أي حبل؟
دعك من الحبل الآن وأخبرني، (متلطفة) ماذا تتمنى في
هذه اللحظة؟

الفيلسوف
الزوجة
لم يهملك قط ما أتمنى.
وضعك اليوم مختلف (وهي تتجه نحوه) أعني، لو قيل
لك إنك ستموت الآن فماذا تكون أمنيته الأخرى؟ (تقف)
أمامه تحت الثريا مباشرة).

الفيلسوف
الزوجة
(يصيح محذراً) ابتعدي عن هذا المكان!
كيف تصرخ في هكذا؟ لا أحد يعلم ماذا يخبىء له القدر.
قد يكون مقدر لك أن تموت في هذه اللحظة. هل تريد أن
تكون صرختك آخر شيء أسمع منك؟ لقد أتحت لك
فرصة عظيمة، تمن علي شيئاً سريعاً أستطيع تحقيقه،
وسأحققه لك في الحال.

الفيلسوف
الزوجة
(بحزم) عودي إلى الخلف!
ما هذه الأمنية المتواضعة؟ هل هذا هو كل ما تريده من
الدنيا؟

الفيلسوف
الزوجة
نعم وبسرعة.
ولكن لماذا أعود إلى الخلف.. فهمت تتمنى لو عاد الزمن
إلى الخلف ليتسنى لك أن...
الفيلسوف
(يائساً من تنفيذها لطلبه) أنظري إلى السقف.

الزوجة ما هذه الأمنيات السخيفة؟ (وهي ترفع رأسها) ولكن لماذا تريدني أن أنظر إلى.. (ترى الثريا فوقها مباشرة وقد بدأت تتحرك فيبدو عليها الرعب وتحاول الابتعاد).

تسقط الثريا فوق رأسها قبل أن تتمكن من الابتعاد.

الزوجة (وهي تقف مذهولة وسط أجزاء الثريا المتناثرة التي تعلق بعضها بملابسها) لقد غشني!

الفيلسوف من الذي غشك؟

الزوجة البائع، لم يرسل ثريا بها ثقل معدني كما اتفقنا، بل غلف أجزاءها الداخلية بالورق وأوهمني أن بداخلها حديد.

الفيلسوف (وهو يضحك) ولكنها وقعت على رأسك أنت، ألسنت سعيدة لأن البائع غشك؟

الزوجة لا علاقة لوقوعها على رأسي بالمسألة.. يظل الغش غشاً وسأحاسب البائع عليه.

يبتسم الفيلسوف بغموض.

الزوجة (تنظر إليه باهتمام وهي تزيج بقايا أجزاء الثريا عن ملابسها) لماذا هذه الابتسامة البلهاء؟

الفيلسوف أنا أبتسم مع ذاتي!

الزوجة كان ينبغي عليّ أن أتوقع ذلك من نوع الابتسامة!

الفيلسوف كنا نسير على خطين متوازيين حتى بدا أحدهما ينحني.. ليلتقي بالآخر.

الزوجة لا أرى مظهراً لهذا الانحناء ولكن أحدهما قد يبتر قبل أن يحدث اللقاء.

الفيلسوف بتر الخط لا يبتر مساره.

الزوجة لن أحفل بهذا الهديان! (ترفع رأسها ثانية وتتنظر إلى مكان الثريا بحيرة) ولكن كيف تحرك الكرسي من مكانه؟ (تنظر إلى زوجها بدهشة) وكيف تكون قابلاً للكسر ومضاداً للقتل في آنٍ واحد؟

ستار

الأمسية الأخيرة

بعد سنة

المكان: الغرفة نفسها وقد أعيد الكرسي إلى مكانه وأعيد المصباح القديم
مكان الثريا.

تظهر وردة وهي تمسح بمنضدة الطعام بمنشفة. يرن جرس الباب
فتذهب لتفتح ثم تعود إلى مكانها وخلفها البستاني.

البستاني لقد أحضرت لك جريدة اليوم.
وردة شكراً (تتناولها منه وتضعها على المنضدة وتكمل مسح
الغبار).

البستاني متى سيعودان؟
وردة لا أعلم متى سيعودان بالتحديد ولكنهما لن يبقيا هناك
أكثر من أسبوع.. لماذا تسأل؟ لم يمض على ذهابهما
أكثر من خمسة أيام.

البستاني ليتهما يبقيان هناك سنة كاملة.
وردة (مبتسمة) نعم، أنا أشعر أنني أحسن حالاً في غيابهما
فكثيراً ما شعرت بالخوف معهما وأحياناً يخيل إلي أنني
في بيت مجانيين.

البستاني يخيل إليك؟ إنهما مجنونان فعلاً وخصوصاً الدكتور...
بصراحة أرى أنه هو السبب في كل مظاهر الجنون في
هذا البيت.

- وردة ولكنه لطيف ومسالم والسيدة هي المتوحشة. وهي متقلبة المزاج وقد حاولت قتله مرات عديدة.
- البستاني نعم، (مبتسماً) وكادت تشركني في إحدى تلك المحاولات في العام الماضي.
- وردة (ضاحكة) أذكر تلك المحاولة.
- البستاني بصراحة لا ألومها على ذلك ولو كنت مكانها لقتلته منذ زمن بعيد لأن تصرفاته الغريبة تستثير أعصاب من يتعامل معه.
- وردة (باستياء) لا تقل عنه ذلك فهو رجل طيب ولا أعلم كيف جمعته الظروف بهذه المرأة الشريرة.
- البستاني بل لا أعلم أيّ حظٍ عاثر جمع هذه المسكينة بهذا المجنون.
- وردة المسكينة! كفّ عن ذلك من فضلك فأنا لا أطيق سماع دفاع عن تلك المرأة الشريرة.
- البستاني وأنا لا أطيق سماع دفاع عن ذلك الرجل المجنون.
- وردة لا يحق لك أن تتعت من تعمل عنده بالجنون.
- البستاني وأنت لا يحق لك أن تقولي لمن تعملين عندها شريرة.
- وردة حسناً إذاً. فلنكف عن الحديث عنهما.
- تضع وردة المنشفة على أحد المقاعد ثم تلتقط الجريدة من على المنضدة.
- البستاني حسناً فعلت فأخبار العالم خير من الحديث عنهما.

تتصفح ورده الجريدة في صمت ثم تشهق فجأة ويظهر عليها الفرع والدهشة.

البستاني (بدهشة) ماذا حدث؟
ورده لا أصدق.. لا أصدق...
البستاني (بقلق) أخبريني ماذا حدث؟
ورده (بصوتٍ حزين) مات سيدي أمس في مزرعته.
البستاني مات؟
ورده نعم (تواصل قراءة الخبر).
البستاني (مذهولاً) كيف مات المسكين؟
ورده دعني أكمل الخبر أولاً ثم أخبرك بكل شيء.

يمشي البستاني بقلق جيئةً وذهاباً بينما ورده تستكمل قراءة الخبر وبعد قليل تنتهد بأسى وتضع الجريدة على المنضدة.

ورده (وهي تهز رأسها يميناً وشمالاً بحسرة) فظيع جداً!
البستاني (بتلهف) كيف مات؟
ورده لقد وقع في حفرة عميقة...
البستاني (غاضباً) لماذا لم يكن ينظر أمامه؟ ألم أقل لك إنه – رحمه الله – كان مجنوناً.. (بتأثر) ولكنه كثيراً ما كان يسقط في الحفر ويصطدم بالأشياء ولا يموت. (يتنهد)...
لماذا لم يخرجه أحدٌ كما كان يحدث في كل مرة؟
ورده لأن المزرعة تقع في منطقة هادئة شبه منقطعة.. لقد أحسنت اختيار المكان. وقد وافق المسكين على الذهاب

إلى هناك فوراً لأنه كان يعشق الهدوء. (تمسح دمعتين
ترقرقتا في عينيها) وقد أخذ معه الكثير من الكتب
ليقرأها هناك.

البستاني
ولكن لماذا لم يحاول الخروج من تلك الحفرة؟ لا بد أن
تلك الحفرة كانت شديدة العمق.

وردة
ولكنه لم يمِت بسبب وقوعه في الحفرة فقط.
البستاني
كنت أعلم أن السقوط في الحفر لا يقتله.. كيف مات إذاً؟
وردة
تقول الجريدة أن الحفرة كان بها أفعى سامة أو ربما
أكثر.

البستاني
أفعى سامة؟
وردة
نعم، لقد وجدوا معه في الحفرة كتاباً وأفعى سامة... لقد
نجحت أخيراً في القضاء عليه.

البستاني
من؟ الأفعى؟
وردة
(بغیظ شديد) نعم الأفعى الكبيرة.

البستاني
تقصدین السيدة؟
وردة
ومن غيرها!

البستاني
لا، لا أظن ذلك، لأنه لم يمِت مسموماً أو مخنوقاً بل وقع
في حفرة عميقة وكلنا نعلم أنه كان كثير الوقوع في
الحفر.

وردة
والأفعى؟
البستاني
لا أحد يعلم ما في الحفر من الأشياء والآفات.

وردة (وقد تذكرت شيئاً) كف عن الدفاع عنها (بلهجة واثقة)
الآن تأكدت أنها هي القاتلة.. أذكر أنني منذ شهر تقريباً –
قبل أن تقرر السفر معه لقضاء إجازة في المزرعة –
سمعتها تتحدث مع شخص ما خلال الهاتف عن الأفاعي.

البستاني وردة
لا تدعي الحزن يوهمك بأشياء غير صحيحة.
أقسم لك إنني سمعتها تذكر الأفاعي السامة! لماذا لا
تصدقني، هل تستبعد أن تكون هي القاتلة؟

البستاني
بصراحة لا أستبعد ذلك لأنني عايشة إحدى محاولاتها،
ولكنه سقط في حفرة وكلنا نعلم أنه كان يسقط في الحفر
من تلقاء نفسه.

وردة
ربما اختارت هذه الوسيلة بالذات لإيهام الناس أنه لم
يمت قتلاً. أنا متأكدة أنها دبرت قتله؛ أولاً حفرت في
طريقه تلك الحفرة وجعلتها عميقة كي لا يتمكن من
الخروج منها..

البستاني وردة
وغطتها بغصون هشة وأوراق شجر؟
(بغیظ) هل تتظاهر بالغباء؟ قد تفعل ذلك لو كانت تدبر
لقتلك أنت أما سيدي المسكين فلم يكن بحاجة إلى إخفاء
الحفر كي يقع فيها.

البستاني
صحيح لو أخفتها لما وقع فيها لأنه – رحمه الله – كان
متخصصاً في الوقوع في الحفر المكشوفة!

وردة
لا تتكلم عنه باستهزاء وهو ميت. لا تنس أنه كان مفكراً،
وعندما كان يفكر بعمق لم ينظر أمامه ليرى مواقع

قدميه.

البستاني وقد كان - رحمه الله - يفكر بعمق طيلة حياته! (بأسى)
أنا فعلاً حزين عليه.

وردة هذا ما استغلته، ثم لتضمن موته وضعت له الحية في
الحفرة بعد أن احترقتها.

البستاني يا لها من نهاية أليمة لحياته! ولكن هل قبض عليها،
للتحقيق معها على الأقل؟

وردة لم تذكر الجريدة ذلك ولكن من المؤكد أن الناس
اعتبروها حادثة.

البستاني أخيراً ستنعم بثروته وتعيش كالأثرياء.

وردة نعم. لقد كانت تنتظر هذه الفرصة بفارغ الصبر.

البستاني أظن أن أول ما ستفعله هو بيع المنزل وشراء قصر
صغير بدلاً منه.

وردة وستشتري سيارة فخمة.. ومجوهرات كثيرة.

البستاني ولكن، كيف استطاع رجل ضعيف مثله مقاومة رغبة

امرأة في قوتها في التمتع بالثراء، كيف استطاع الصمود
أمام جبروتها؟

وردة لم يكن ضعيفاً ولكنه لم يكن يستخدم قوته إلا فيما يراه
هاماً.

البستاني أتمنى حقاً أن أرى ما ستفعل بعد أن أصبح كل شيء في
يدها. هل تظنين أنها ستتغير كثيراً؟

وردة (تشهق) لقد ذكرتني بشيء هام.. إنها سيئة الخلق بدون
مظاهر الثراء، فكيف ستكون بعد أن أصبحت ثرية!
يجب أن أبدأ في حزم حقائبي حالياً لأكون على استعداد
للرحيل عندما تأتي.

البستاني لماذا ترحلين قبل تجربتها؟
وردة لن أعمل لديها الآن.. (بنبرة حزينة) لقد اعتدت أن أخذ
راتبي من إنسان هادىء لا يمشي خطوة بلا كتاب أو
جريدة ولا يرى لمدة شهر بدون ضمادات.

يفتح الباب المؤدي إلى الخارج وتدخل الزوجة ويدها اليسرى مجبرة
ومربوطة إلى عنقها وعلى جبهتها ضمادة ويدها كتاب تضمه إلى
صدرها وتحت ذراعها جريدة، وتمشي ببطء إلى الداخل حتى تصل إلى
الأريكة فتجلس عليها ببطء وتضع الجريدة جانباً وهي لا تزال تحتضن
الكتاب بينما البستاني ووردة يراقبانها بدهشة.
تنقدم منها وردة بحذر.

وردة (بدهشة) سيدتي، ماذا حدث لذراعك ورأسك؟
الزوجة (بهدهوء) ما أجسادنا إلا أوعية تحتوي أرواحنا وعقولنا
ولا يضر ثلم الوعاء إذا سلم ما يحتويه.
وردة وملابسك يا سيدتي... هل وقعت في..
الزوجة نعم، واتسخت ملابسك ولكن ما أهمية القشور.

تحقق الزوجة في كرسي زوجها برهة ثم تطرق وتتنهد بألم.
تنظر وردة إلى البستاني ثم إلى السيدة بحذر.

وردة
الزوجة
وردة
الزوجة
البستاني
الزوجة
وردة
الزوجة
وردة
الزوجة
وردة
الزوجة

سيدتي، هل ما تروي الجريدة عن سيدي صحيح؟
(ترفع رأسها ببطء) نعم.
إن ذلك محزن جداً. عظم الله أجرك يا سيدتي.
(تتنهد) وأجرك. هذه سنة الحياة يا وردة.
ليته - رحمه الله - كان ينظر أمامه يا سيدتي.
ولماذا ينظر أمامه وهو لا يابه بالحدود؟ (تتنهد ثم تحدق
أمامها) ولكنه انطلق بعيداً بفكره ومبادئه، وبكل حرية
وهو لا يشعر أن كل شيء له حد، حتى الحرية.. (تلتفت
إلى البستاني ووردة) هل تعلمان ما هي الحرية الكاملة؟
(تهز رأسها نفيًا بحيرة) لم أفهم ما تعنين يا سيدتي.
(عندما تقيدان الحرية بعض الشيء وتضعين أمامها
بعض الحدود... هل تصدقين ذلك!
ولكن سيدي رحمه الله لم يكن يؤمن بالقيود والحدود..
نعم، لقد عاش حياته محرراً نفسه من استعباد كل البشر
واستثنى نفسه وهو لا يشعر، ومن استعباد كل شيء
واستثنى الحرية وهو لا يشعر، فمات عبداً لنفسه
واللحرية... وهو لا يشعر... وتعلمت أنا أن الحرية
المثلى هي درجة الحرية التي يجب أن يقف عندها
الإنسان قبل أن تستعبده الحرية...
(تتنهد) ولكنه رفض التوقف وانطلق بعيداً جداً وجعلني
أنطلق خلفه.. خارج الحدود...

ينظر البستاني ووردة أحدهما إلى الآخر في صمت بينما تحرق الزوجة أمامها.

الزوجة (بصوت يشبه الهمس) أتكون بداخلي طفلة رغم كل شيء... طفلة تريد الاحتفاظ بنفسائها؟
البستاني (هامساً لوردة) هل جنت؟
وردة (هامسة) لا أعلم!

الزوجة ولكن من منا يرى الحدود بوضوح عندما يصل إليها.. من منا يرى تلك الدرجة الحرجة... الدرجة التي يجب أن نتوقف أمامها.. (تلقت إلى وردة والبستاني) لو توصلنا إلى معرفة الدرجة الحرجة لكل شيء لاستطعنا تجنب مشاكل كثيرة... ولربما... قضينا على الجريمة. (بتحسر) لو علم الإنسان الدرجة الحرجة عندما يصل إليها! (بصوت منخفض وهي تنظر إلى البستاني ووردة نظرة جادة) يجب أن نبحث في هذا الموضوع وإن استنفد عمرنا كله..

تصمت الزوجة قليلاً ثم تنظر إلى كرسي زوجها ثانية.

الزوجة (بهدهوء وألم) لقد كان يريد هذه النهاية.. (تتنهد) أخيراً تحرر من كل القيود التي كان يكرهها. أتمنى أن يكون أسعد حالاً في حياته الثانية. (تطرق ثانية).

ينظر البستاني ووردة إلى بعضهما في صمت.

الزوجة (بهدهوء وهي ترفع رأسها وتحقق أمامها) أخيراً توقف عن النمو... لقد كنت محقة عندما قلت له يوماً إنه سيعلم الناس وهو في قبره.

البستاني (هامساً) من المؤكد أنها جنت!
وردة (هامسة وقد بدا عليها الخوف) أظن ذلك.

تنظر الزوجة إلى كتابها ثم تناوله وردة.

الزوجة أنظري إلى هذا الكتاب.

تأخذ وردة الكتاب وتنتظر إلى عنوانه.

وردة "الإنسان: طبقات وصفات" .. إنه كتاب سيدي!
الزوجة نعم يا وردة. إنه الجزء الأول. لقد خرج اليوم من المطبعة، وبقيت الأجزاء الأربعة الباقية... ولكنها في الطريق، ستصدر خلال ثلاثة أسابيع.

وردة (تعيد الكتاب وهي تمسح عينيها) يسعدني أنه أنهى العمل في هذا الكتاب قبل أن يموت ولكن... (تتنهد وتسكت).

الزوجة (تمسك الكتاب بكلتي يديها بمودة) ولكن ماذا يا... وردة؟
وردة (وقد اغرورقت عيناها بالدموع) ليته كان معنا الآن ليرى كتابه وعليه اسمه.

الزوجة (تضع الكتاب جانباً وتحقق في وردة) إنه موجود معنا فعلاً يا وردة.

وردة (تترجع بفرع) مو.. موجود معنا؟ هـ ... هنا؟

الزوجة
(بهدهوء وهي تحدق في فضاء الغرفة) ليس بالضرورة
هنا، ولكن الأشياء التي تدخل حيز الوجود لا تتحول إلى
العدم تماماً لذلك فهو موجود معنا في هذا العالم... ليس
في صورته التي نعرفها ولكن.. في شكل آخر من أشكال
الوجود...

يظلم المكان شيئاً فشيئاً.

النهاية